(٥)
سلسلة الحقوق

حق الطريق في الإسلام

طه عبد الله العفيفي

دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

"رواه مالك"

الإهداء

- إلى الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: الذى ما ترك خيرًا إلا وأمرنا به. وما ترك شرًا إلا وقد نهانا عنه.
- إلى الرحمة المهداة صلوات الله وسلامه عليه: الذى أرسله الله رحمة للعالمين، وقدوة للمهتدين.
- إلى صاحب الخُلق العظيم صلوات الله وسلامه عليه: الذى فتح الله به آذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا، وأعينًا عميًا.

أقدم هذا الجهد المتواضع من تعاليمه وأحاديثه النورانية.

سائلًا المولى سبحانه وتعالى أن يهدينا بها إلى الطريق المستقيم.

آمين.

المؤلف

تقديم

اخى المسلم :

منذ زمن بعيد وانا انوى (تأليف) كتاب موضوعى أدور فيه — بتركيز — حول الآداب الاسلامية المتعلقة بحقوق الطريق وآدابه :

وذلك لأننى منذ ذلك الحين وانا الاحظ مع غيرى من الشرفاء : انحرافا خطيرا من جانب بعض المستهترين الذين تجردوا من الحياء : بصورة تشكل خطورة كبيرة على أمتنا ومستقبلنا .

● وانما الأمم الأخلاق ما بقيت
فان هموا ذهبت اخلاقهم ذهبوا

● واذا أصيب القوم فى أخلاقهم
فأقم عليهم مأتما وعويلا

●● وحتى يتأكد لك هذا : حسبك أن تقرأ هاتين الآيتين الكريمتين :

● **(واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)** . الاسراء : الآية ١٦ .

● **(وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)** . هود : الآية ١١٧ .

●● وهذين الحديثين الشريفين :

● عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : **(يا معشر المهاجرين ، خمس خصال اذا (١) ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن :**

● **لم تظهر الفاحشة(٢) فى قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا .**

● **ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين(٣) وشدة المؤنة(٤) وجور السلطان عليهم .**

● **ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا .**

● **ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما فى أيديهم .**

● **وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا(٥) فى ما أنزل الله الا جعل بأسهم بينهم) .**

رواه ابن ماجه واللفظ له والبزار .

● عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **(والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم) .** رواه الترمذى وقال حديث حسن .

---

(١) جواب الشرط محذوف ، وهو : حل بهم من الهلاك مالا يدرك كنهه .

(٢) الفاحشة : اى الزنا .

(٣) ، (٤) المراد أنهم يمرون بأزمات اقتصادية ، وجدب .

(٥) بالخاء من التخير وهو العمل بأقوى الأدلة واخيرها .

●● وخلاصة ما أريد الاشارة أليه وما كان سببا فى تأليف هذا الكتاب الذى بين يديك ، هو :

● أن بعض الشباب المستهتر — بصفة خاصة — قد أصبحنا الآن نراه يتسكع فى الطرقات بصورة مزعجة جعلتنا نخشى على بناتنا ونسائنا من نتائجها المشينة التى وصلت الى حد اختطاف بعض الفتيات والزوجات من عرض الطريق وفى وضح النهار لكى يذهب بهن — مكرهات — الى حيث تنتهك أعراضهن كما قرأنا حديثا فى بعض الجرائد المحلية .

● وبعضهم أصبحنا نراه كذلك يسير ليلا ونهارا فى عرض الطريق واضعا ذراعه كاملا حول عنق فتاة رخيصة — مثله — بصورة مثيرة ومخلة بالآداب العامة والخاصة : بدعوى المدنية الكاذبة ، والمبادىء الرخيصة اليسارية المستوردة : دون حياء او أدب او أخلاق وكأن ماء الفضيلة لم يجــــر فى عروقهم : (**فيا أرض ابلعى**) ان لم يشأ الله تعالى هدايتهم .

● وبعضهم : أصبح لا يحلو له الا أن يجلس على قارعة الطريق أمام مقهى أو ملهى بصورة مخلة بالآداب ، ومعطلة للمارة ، بل ومضيقة عليهم مسالكهم : لأن التنابلة هؤلاء يجلســـون على جانبى الطريق اللذين أعدا أساسا لمرور المواطنين ، مما يضطر هؤلاء المارة بعدا عن الشر ان يسيروا فى وســــط الطريق وبين (السيارات) حيث يتعرضون — غالبا — بسبب ذلك لمخالفـــة قواعد المرور ، ولما لا يحمد عقباه من جانب احـــدى السيارات السريعة :

هذا بالاضافة الى التعليقات النابية التى تصدر من هؤلاء عندما تمر أمامهم فتاة أو زوجة . .

وقد تكون تلك المجالس (شيطانية) مائة فى المائة : بمعنى انها قد تكون بالاضافة الى انها مراكز لهو ولعب : قد تكون مراكز

تخطيط لارتكاب جريمة قتل او سلب أو نهب أو خطف من جانب هؤلاء المستهترين لكى يشبعوا رغباتهم الجنسية ، ولكى يحصلوا على المال الذى به يفسدون ويعربدون :

ان الشـــــباب والفراغ والجـــدة
مفســـــدة للمـــرء أى مفســدة

وكان من الواجب على هؤلاء العابثين ان يكونوا مواطنين صالحين :

بمعنى أن يلتزموا بالأخـــلاقيات الكريمة التى ورثناها عن آبائنا وأجدادنا الأمجاد الذين دانت لهم الامم وخضعت لسلطانهم الرقاب وكان فضل الله عليهم عظيما .

وبمعنى أن يملؤا فراغهم بالأعمال الصالحة الشريفة التى تضمن لهم الفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة كما تشير الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها :

(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينـــه حيـــاة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن مـــا كانوا يعمـــلون) .
النحل : الآية ٩٧ .

● وبعضهم : أصبحنا نراه وبكثرة فى الأماكن العامة ، وفى (الأتوبيسات) والقطارات يحمل (مسجلا) او مذياعا مداراً بصورة مزعجة ومؤلمة ، بل ومخلة بالآداب العامة :

لانها قد تؤذى مريضا ، فضلا عن مشاعر المواطنين الصالحين الذين يؤلمهم ويؤذيهم تصرفا مشينا كهذا ، خاصة اذا كانت معهم نساؤهم وبناتهم .

ومن المؤسف والمؤلم : انه اذا طالب من العابث هذا ، أن يسمع نفسه أو يغلق مذياعه او مسجله تكون النتيجة كما نعلم

جميعا أن يقابل مثل هذا المطلب الشرعى بالألفاظ النابية التى تؤكد سفالة هذا المجرد من الذوق السليم .

ومثل هذا قد يحدث كذلك من جانب أحد المدخنين فى المركبات العامة اذا ما طلب منه أن يراعى اختناق مجاوريه .

● وبعضهم : أصبحنا نراهم يلعبون الكرة وسط الطريق وبصورة لا تمكن غيرهم من المواطنين بأن يسيروا الى أعمالهم أو منازلهم دون معوقات ، فضلا عن المواطنين الذين تطل نوافذهم على تلك الملاعب المبتدعة التى تزعجهم ولا تمكنهم من الراحة وخاصة بالنسبة للمرضى منهم ...

●● ولهذا ، ومن أجل كل هذا وغيره من الأمراض الاجتماعية والأخلاقية التى لا يتسع التقديم لذكرها : فقد رأيت وتعاونا على البر والتقوى ، بل : وتعاونا مع رجال الأمن والدعاة الى الفضيلة ، كداعية من الدعاة الى الله سبحانه وتعالى ، وحتى لا تغرق السفينة ، كما يشير الحديث الشريف الصحيح الذى رواه البخارى والذى يقول فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

● (مثل القائم فى حدود الله(١) والواقع فيها كمثل قوم استهموا(٢) على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو ان خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) .

رأيت : حتى لا نهلك جميعا كما هو واضح فى نص هذا

---

(١) القائم فى حدود الله تعالى : أى المنكر لها ، القائم فى دفعها وازالتها ، والمراد بالحدود ما نهى الله عنه .

(٢) أى اقترعوا .

الحديث ، أن أدور معك حول حديث شريف يوصينا فيه حبيبنـــا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه باعطاء الطريق حقه .

ولسوف ترى من خلال شرح هذا الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى لا (**... ينطق عن الهـوى**) قد ســـاهم مساهمة فعالة فى معالجة تلك الأمراض الخطيرة التى وقفت على أهمها ، والتى كما تأكد لك من خلال ما وقفت عليـــه ، لابد من التخلص منها ، ووضع حد لها وحتى لا أطيل عليك ، فاليك أولا نص الحديث ، ثم شرحه :

حق الطريق

• عَنْ أبِي سَعِيد الْخُدرِيّ رضي الله عنه عَنِ النّبِي صلى الله عليه وسلم قَالَ:

إيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ..

قَالُوا يَا رَسُولَ الله: مَا لَنَا مِنْ مجالِسنا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا..

فقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: فَإذا أبَيْتم إلّا المَجْلِس فَاعْطُوا الطَّرِيقَ حَقّهُ.

قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يا رسُول الله؟

قَالَ:

غَضُّ البَصَرِ

وَكَفُّ الأذى

وَرَدُّ السّلَامِ

وَالأَمْرُ بِالمعْرُوف

وَالنَّهيُ عَنِ المُنْكَرِ

رواه البخاري ومسلم

سـؤال وجـواب

● أما السؤال ، فهــو :

لماذا حذر الرسول صلوات الله وسلامه عليه أصحابه الفضلاء من الجلوس فى الطرقات ، وهل كان هناك سبب لهذا ؟

● وللاجابة على هذا السؤال ، اقول وبالله التوفيق :

ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان يدرك تماما خطورة تلك المجالس التى كثيرا ما ترتكب فيها الجماقات وتدبر فيها المؤامرات ، بل وتردد فيها الاشاعات ، وتنتهك فيها الحرمات . .

ولهذا : فانه عندما رأى بعض أصحابه يجلسون فى الطرقات حذرهم من هذا خوفا عليهم ، وتحصينا لهم ضد أهوائهم وغرائزهم النفسية التى قد تعيدهم — ان أشبعوها — الى عاداتهم الجاهلية التى انقذهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه منها ومن آفاتها .

ولكنهم عندما حذرهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه طمأنوه بأنهم لم يجلسوا من اجل هدف دنيوى أو شيطانى وانما قد جلسوا من أجل هدف دينى :

كما يشير حديث آخر رواه مسلم : عن أبى طلحة زيد بن سهل رضى الله عنه ، قال : كنا قعودا بالأفنية نتحدث فيها فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فقال :

(ما لكم ولمجالس الصعدات(١) : اجتنبوا مجالس الصعدات . فقلنا : انما قعدنا لغير ما باس ، قعدنا نتذاكر ونتحدث . قال : اما لا ، فادوا حقها : غض البصر ، ورد السلام ، وحسن الكلام) :

فاما علم الرسول صلوات الله وسـلامه عليه منهم أن مجالسهم مجالس خير لا شر : اقرهم على هذا ، ولكن على شريطة أن يعطوا الطريق حقه ، وهو كما هو ثابت فى نص الحديث الذى ندور حوله :

(غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر) .

●● ولما كنا جميعا فى حاجة سريعة الى تنفيذ هذا الحق ، او هذه الحقوق التى هى فى مجموعها حق واحد ، فقد رايت ان ابدا فورا فى شرح عناصر هذا الحق ، حسب ترتيبها ، فاليك :

---

(١) اى الطرقات ..

غضُّ البصرْ

غض البصـــــــــر

●● وحسبك حتى تعرف أهمية هذا العنصر الأساسى فى حق الطريق أو حقوقه :

أن تقرأ معى أولا هذه النصوص :

● يقول الله تعالى فى كتابه العزيز :

(ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) . الاسراء : الآية ٣٦ .

● وفى حديث رواه الحاكم وصححه ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

(النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ، من تركهـا من مخافة الله أعطاه الله ايمانا يجد حلاوته فى قلبه) .

● ويقول الشاعر الحكيم :

كل الحوادث مبـــداها من النظـــــر
ومعظم النــــار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت فى قلب صاحبهـــا
فتك الســـــهام بلا قـوس ولا وتر

●● بل وحسبك اذا أردت أن تقف على ضرورة غض البصر ، واهم النتائج المترتبة على هذا أن تقرأ معى كذلك هـــاتين الآيتين الكريمتين اللتين يأمر الله سبحانه وتعالى فيهما عبـــاده المؤمنين والمؤمنات ــ وفى سورة النور ــ بأن يغضوا من أبصارهم ويحفظوا

فروجهم ، فيقول الله تبارك وتعالى لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه آمرا اياه بأن يبلغنا :

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ
يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ
وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ
بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ
بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ
أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ
أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ
جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

●● وحسبى حتى تنتفع الأخت المؤمنة بهاتين الآيتين : ان ادور معكما حولهما من خلال ما هو ثابت فى كتب التفسير المعتمدة :

● ففى القرطبى يقول ما خلاصته :

قوله تعالى : (**قل للمؤمنين ....**) الآية :

ووصل تعالى بذكر الستر ما يتعلق به من أمر النظر ، ولم يذكر الله تعالى ما يغض البصر عنه ويحفظ الفرج ، غير ان ذلك معلوم بالعادة ، وان المراد منه المحرم دون المحلل .

وفى البخـــارى : وقال سعيد بن ابى الحسن للحسن ان نســـاء العجم يكشفن صدورهن ورءوسهن ؟ فقال : اصرف بصرك ، يقول الله تعالى : (**قل للمؤمنين يغضـــوا من أبصـــارهم ويحفظـــوا فروجهم .**) .

واشار بعد ذلك الى ان (من) فى قوله تعالى : **(من ابصارهن)** زائدة ، كقوله تعالى : **(فما منكم من احد عنه حاجزين)** : او : للتبعيض لأن من النظر ما يباح(1) ..

ويقول : البصر هو الباب الأكبر الى القلب وأعمر طرق الحواس اليه ، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ، ووجب التحذير منه . وغضه واجب عن جميع المحرمات ، وكل ما يخشى الفتنة من أجله ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : **(اياكم والجلوس على الطرقات)** فقالوا : يارسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها ، فقال : **(فاذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه)** .

قـــالوا : وما حق الطريق يا رســـول الله ؟ قـــال : **(غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)** .

وفى صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاءة ، فأمرنى ان اصرف بصرى .

وهذا يقوى قول من يقول : ان **(من)** : للتبعيض ، لأن النظرة الأولى لا تملك فلا تدخل تحت خطاب تكليف ، اذ وقوعها لا يتأتى

---

(1) كما ساوضح بعد ذلك .

أن يكون مقصودا ، فلا تكون مكتسبة فلا يكون مكلفا بها ، فوجب التبعيض لذلك ، ولم يقل ذلك فى الفرج ، لأنها تملك .

ولقد كره الشعبى أن يديم الرجل النظر الى ابنته أو أمه أو أخته ، وزمانه خير من زماننا هذا !! وحرام على الرجل أن ينظر الى ذات محرمة نظر شهوة يرددها .

ثم يقول القرطبى فى قوله تعالى : **(ويحفظوا فروجهم)** أى : يستروها عن أن يراها من لا يحل ، وقيل : **(ويحفظوا فروجهم)** أى : عن الزنى ، وعلى هذا القول لو قال : **(من فروجهم)** لجاز . والصحيح أن الجميع مراد واللفظ عام .

وروى بهز بن حكيم بن معاوية القشيرى عن أبيه عن جده قال : قلت : يارسول الله ، عوراتنا ما نأتى منها وما نذر ؟ قال : **(احفظ عورتك الا من زوجتك أو ما ملكت يمينك)** قال : الرجل يكون مع الرجل ؟ قال : **(ان استطعت ألا يراها فافعل)** قلت : فالرجل يكون خاليا ؟ فقال : **(الله أحق أن يستحيا منه من الناس)** .

وقد ذكرت عائشة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحالها معه فقالت : ما رأيت ذلك منه ، ولا رأى ذلك منى .

ثم يشير القرطبى الى حكم آخر يتعلق بهذا ، فيقول :

بهذه الآية حرم العلماء نصا دخول الحمام(١) بغير مئزر .

وقد روى عن ابن عمر أنه قال : أطيب ما أنفق الرجل : درهم يعطيه للحمام فى خلوة .

وصح عن ابن عباس أنه دخل الحمام وهو محرم بالجحفة .

فدخوله : جائز للرجال بالمآزر ، وكذلك النساء للضرورة

---

(١) يعنى الحمامات العامة لا الخاصة .

كغسلهن من الحيض والنفاس أو مرض يلحقهن ، والاولى بهن والأفضل لهن غسلهن ان أمكن ذلك فى بيوتهن :

فقد روى أحمد بن منيع حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا زيان عن سهل بن معاذ عن أبيه عن أم الدرداء أنه سمعها تقول : لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرجت من الحمام ، فقال : (**من أين يا أم الدرداء**) ؟ فقالت : من الحمام ، فقال : (**والذى نفسى بيده ما من امرأة تضع ثيابها فى غير بيت أحد من امهاتها الا وهى هاتكة كل ستر بينها وبين الرحمن عز وجل**) .

وأخــرج أبو بكر البزار عن طاوس عن ابن عبــاس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**احــذروا بيتــا يقــال له الحمام**) قالوا : يا رسول الله ، ينقى الوســخ ؟ قال : (**فاستتروا**) :

قال أبو محمد عبد الحق : هذا أصح اسناد حديث فى هذا الباب ، على أن الناس يرسلونه عن طاوس ، وأما ما اخرجه أبو داود فى هذا من الحظر والاباحة فلا يصح منه شىء لضعف الأسانيد ، وكذلك ما أخرجه الترمذى .

ثم يقول القرطبى رحمه الله : أما دخول الحمام فى هذه الأزمان فحرام على أهل الفضل والدين ، لغلبة الجهل على النــــاس واستسهالهم اذا توسطوا الحمام رمى مآزرهم ، حتى يرى الرجل البهى ذو الشيبة قائما منتصبا وسط الحمام وخارجه باديا عن عورته ضاما بين فخذيه ولا أحد يغير عليه .

هذا أمر بين الرجال فكيف من النساء ! ولا سيما بالديار المصرية(١) اذ حماماتهم خالية عن المظاهر التى هى عن أعين الناس سواتر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

---

(١) انه يشير الى الحمامات العامة التى لا زال بعضها موجودا الى الآن ــ مثلا ــ فى شارع محمد على ، وغيط العدة ، والغورية .

ثم يذكر بعد ذلك شروطا اشترطها العدماء لدخول تلك الحمامات العامة ، فيقول :

قال العلماء : فان استتر فليدخل بعشرة شروط :

● **الأول** : ان يدخل بنيـــة التداوى او بنيـــة التطهـــير عن الرحضاء ـــ اى العرق فى أثر الحمى .

● **الثانى** : أن يعتمد أوقات الخاوة أو قلة الناس .

● **الثالث** : أن يستر عورته بازار صفيق .

● **الرابع** : أن يكون نظره الى الأرض او يستقبل الحـــائط لئلا يقع بصره على محظور .

● **الخامس** : أن يغـــير ما يرى من منكر برفق ، يقـــول : استتر سترك الله .

● **السادس** : ان دلكه احد لا يمكنه من عورته ، من سرته الى ركبتيه الا امراته أو جاريته ـــ **المملوكة له** ـــ :

وقد اختلف فى الفخذين هل هما عورة أم لا .

● **السابع** : أن يدخله بأجرة معلومة بشرط او بعـــادة النـــاس .

● **الثامن** : ان يصب الماء على قدر الحاجة .

● **التاسع** : ان لم يقدر على دخوله وحده اتفق مع قـــوم يحفظون اديانهم على كرائه .

● **العاشر** : أن يتذكر به جهنم ، فان لم يمكنـــه ذلك كله عليستتر وليجتهد فى غض البصر ..

ثم يقول القرطبى : قوله تعالى : (**ذلك ازكى لهم**) أى : غض البصر وحفظ الفرج أطهر فى الدين وأبعد من دنس الآثام . (**ان الله خبير**) أى عالم (**بما يصنعون**) : تهديد ووعيد .

●● وقبل أن أواصل معك ما ذكره القرطبى حول الآية الثانية ، وهى (**وقل : للمؤمنات** ..) :

دعنى أزودك أولا بتلك الأحكام المتعلقة بالآية الأولى ، والتى ذكرها الامام المودودى ، فى كتابه (الحجاب) تعليقا على موضوع جـواز نظر الرجـل الى المـرأة الأجنبية عنـد الضرورة ــ التى سيذكرها ــ فيقول :

على انه ظاهر انه ما دام الانسان فاتحا عينيه فى هذه الدنيا ، فلابد أن يقع بصره على كل ما حوله من الأشياء والأشخاص . وليس فى الامكان أن لا يرى الرجل امرأة ابداً ، ولا ترى المـرأة رجلا بحال .

فقول الشارع عليه السلام فى مثل هذا النظر : أنه ان وقع فجأة فلا اثم فيه ، وانما المحظور أن يعيد المرء نظـره الى حيث يستأنس الزينة والجمال ويجعله مرمى عينيه .

عن جرير قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة فقال : (**اصرف بصرك**) . رواه أبو داود .

وعن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى: (**يا على لا تتبع النظرة النظرة ، فان لك الأولى وليس لك الآخرة**) رواه ابو داود .

وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (**من نظـــر الى محاسن امرأة اجنبية عن شهوة صب فى عينيه الآنك ــ الرصاص المذاب ــ يوم القيامة**) تكملة فتح القدير ج ٨ ص ٩٧ .

ثم يقول أثابه الله : على أنه قد يكون هناك من الأحايين ما يستدعى النظر الى امرأة اجنبية : كأن ينظـــر الطبيب الى مريضة ، أو ينظر القاضى الى امرأة تحضر بين يديه شاهدة أو فريقا فى قضية ، أو تحصر امرأة فى حريق أو تقع فى لجة ــ اى بحر ــ فتشرف على الغرق ، أو يكون عرضها أو نفسها عرضة للخطــر .

ففى كل هذه الحالات يجوز النظر الى عورة المرأة فضلا عن وجهها ، ويجوز كذلك لمسها ، بل احتضانها أيضا ــ ان كانت متعرضة للحرق أو الغرق ــ ليس من الجائز فحسب ، بل هو واجب بالضرورة ويأمر الشارع فى هذه الأحوال ان يخلص المرء نيته من الفساد ما استطاع ، ولكنه ان اختلجت فى نفسه خلجة من الشهوة لمقتضى الطبع البشرى فيه . فلا جناح عليه فيه ، لأن مثل هــذا النظر وهذا اللمس انما دعته الضرورة ، وليس فى مكنة الانسان منع مقتضيات الفطرة بتة .

ثم يقول : وكذلك النظر الى الأجنبية ، بل اسفاف النظــر اليها بقصد التزوج بها ، ليس بجائز فحسب ، بل هو مما ندب اليه فى السنة ، وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم نفسه امراة بهذا القصد .

وعن المغيرة بن شعبة انه خطب أمرأة فقال النبى صلى الله عليه وسلم : **(انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكمــا)** رواه الترمذى .

وعن سهل بن سعد ان امرأة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله جئت لأهب لك نفسى ، فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر اليها . رواه البخــارى .

وعن ابى هريره ، قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فأخبره بأنه تزوج امرأة من الأنصار ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**أنظرت اليها ؟**) قال : لا . قال : (**فاذهب فانظر اليها ، فان فى أعين الأنصار شيئا**) . رواه مسلم .

وعن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**اذا خطب أحدكم امرأة فان استطاع أن ينظر الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل**) رواه ابو داود .

ثم يقول فى نهاية هذا التعليق : فيعلم من التأمل فى هذه الحالات الاستثنائية انه ليس مقصود الشارع عليه السلام منع النظر مطلقا ، بل المقصود سد ذريعة الفتنة ، ولذلك منع النظر الذى لا تدعو اليه حاجة ولا فيه للتمدن منفعة ، ثم فيه أسباب محركة لنزعات الشهوة فى الانسان .

وهذا الحكم موجه الى الرجال والى النساء على حد سواء :

فقد أخرج الترمذى فى سننه عن ام سلمة رضى الله عنها انها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة(١) . قالت: فبينما نحن عنده اقبل ابن أم مكتوم ، فدخل عليه ، وذلك بعدما امرنا بالحجاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**احتجبا منه**) ، فقلت : يا رسول الله ! أليس هو أعمى ، لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**أفعمياوان أنتما ؟ ألستما تبصرانه**) .

●● واما عن الآية الثانية ، وهى : (**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ..**) الى قوله تعالى : (**من زينتهن**) :

---

(١) وفى رواية : عائشة رضى الله عنها .

فقد ذكر القرطبى فيها ثلاثا وعشرين مسالة ، خلاصتهـــا كالآتى :

● الأولى : قوله تعالى : (**وقل المؤمنات**) : فقد خص الله سبحانه وتعالى الاناث هنا بالخطاب على طريق التأكيد ، فان قوله تعالى : (**قل للمؤمنين**) يكفى ، لأنه قول عام يتناول الذكر والأنثى من المؤمنين ، حسب كل خطاب عام فى القرآن ..

وبدا بالغض قبل الفرج لأن البصر رائد القلب ، كما ان الحمى رائد الموت ..

وفى الخبر : (**النظرة سهم من سهام ابليس مسموم ، فمن غض بصره أورثه الله الحلاوة فى قلبه**) .

وقال مجاهد : اذا اقبلت المراة جلس الشيطان على راسها فزينها لمن ينظر ، فاذا أدبرت جلس على عجزها فزينها لمن ينظر .

فأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين والمؤمنات بغض الابصار عما لا يحل ، فلا يحل للرجل أن ينظر الى المراة ، ولا المراة الى الرجل ، فان علاقتها به كعلاقته بها ، وقصدها منه كقصده منها .

وفى صحيح مسلم : عن ابى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (**ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة . فالعينان تزنيان وزناهما النظر ..**) الحديث ..

وقال الزهرى فى النظر الى التى لم تحض من النساء : لا يصح النظر الى شىء منهن ممن يشتهى النظر اليهن وان كانت صغيرة .

وكره عطاء النظر الى الجوارى اللاتى يبعن بمكة الا ان يريد ان يشترى .

وفى الصحيحين عنه عليه السلام انه صرف وجه الفضل عن الخثعمية حين سألته ، وطفق الفضل ينظر اليها .

ثم يقول القرطبى فى ختام هذه الأولى :

فلا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تبدى زينتها الا لمن تحل له ، أو لمن هى محرمة عليه على التأبيد ، فهو أمن أن يتحرك طبعه اليها لوقوع اليأس له منها .

● الثانية : روى الترمذى عن نبهان مولى أم سلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لها ولميمونة وقد دخل عليهما ابن أم مكتوم: (**احتجبا**) فقالتا : انه اعمى ، قال : (**افعمياوان أنتما الستما تبصرانه**) . فان قيل هذا الحديث لا يصح عند أهل النقل لأن راويه عن أم سلمة نبهان مولاها وهو ممن لا يحتج بحديثه . وعلى تقدير صحته فان ذلك منه عليه السلام تغليظ على ازواجه لحرمتهن كما غلظ عليهن امر الحجاب ، كما اشار اليه ابو داود وغيره من الأئمة .

ويبقى معنى الحديث الصحيح الثابت وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم امر فاطمة بنت قيس — بعد أن طلقها زوجها — ان تعتد فى بيت ام شريك ، ثم قال : (**تلك امرأة يغشاها أصحابى ، اعتدى عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك ولا يراك**) ؟ .

قلنا : قد استدل بعض العلماء بهذا الحديث على أن المرأة يجوز لها ان تطلع من الرجل على ما لا يجوز للرجل أن يطلع من المرأة كالراس ، ومعلق القرط ، واما العورة فلا . فعلى هذا : يكون مخصصا لعموم قوله تعالى : (**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن**) وتكون (**من**) للتبعيض كما هى فى الآية قبلها .

قال ابن العربى : وانما امرها بالانتقال من بيت أم شريك ، اذ كانت أم شريك مؤثرة بكثرة الداخل اليها ، فيكثر الرائى لها ، وفى بيت

ابن أم مكتوم لا يراها أحد ، فكان امساك بصرها عنه أقرب من ذلك وأولى ، فرخص لها في ذلك ، والله أعلم .

● الثالثة : أمر الله سبحانه وتعالى النساء بألا يبدين زينتهن للناظرين ، الا ما استثناه من الناظـــرين في باقي الآية حـــذارا من الافتتان ، ثم استثنى ما يظهر من الزينة ، واختلف النـــاس في قدر ذلك :

فقال ابن مسعود : ظاهر الزينة هو الثياب .

وزاد ابن جبير : الوجه .

وقال سعيد ابن جبير أيضا وعطاء والاوزاعي : الوجـــه والكفان والثياب وقال ابن عباس وقتادة والمسور بن مخرمة : ظاهر الزينة هو الكحل والسوار والخضاب الى نصف الذراع والقرطة والفتخ(١) : ونحو هذا ، فمباح أن تبديه لكل من دخـــل عليها من الناس .

وذكر الطبري عن قتادة في معنى نصف الذراع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : **(لا يحل لامرأة أن تؤمن بالله واليوم الآخر اذا عركت(٢) ان تظهر الا وجهها ويديها الى هنا)** وقبض على نصف الذراع .

قال ابن عطية : ويظهر لي بحكم الفاظ الآية ان المرأة مأمورة بألا تبدي وأن تجتهد في الاخفاء لكل ما هو زينة ، ووقع الاستثناء فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فيما لابد منه او اصلاح شأن ونحو ذلك . و **(ما ظهر)** على هذا الوجه ما تؤدي اليـــه الضرورة في النساء فهو المعفو عنه .

---

(١) الفتخ (بفتحتين جمع الفتخة) خواتيم كبار تلبس في الأيدي .

(٢) عركت المرأة : أي حاضت .

ثم يقول القرطبى بعد ذلك قلت : هذا قول حسن ، الا أنه لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة وذلك فى الصلاة والحج ، فيصلح أن يكون الاستثناء راجعا اليهما .

يدل على ذلك ما رواه أبو داود عن عائشة رضى الله عنها ان اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنهما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها : (**يا اسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا**) واشار الى وجهه وكفيه .

فهذا اقوى من جانب الاحتياط ، ولمراعاة فساد الناس ، فلا تبدى المـــرأة من زينتهـــا الا ما ظهـــر من وجههـــا وكفيهـــا ، والله الموفق لا رب سواه .

وقد قال ابن خويز منداد من علمائنا : أن المرأة اذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك ، وان كانت عجوزا مقبحة جاز أن تكشف وجهها وكفيها .

● الرابعة : الزينة على قسمين : خلقية ومكتسبة ، فالخلقية وجهها فانه اصل الزينة وجمال الخلقة ومعنى الحيوانية ، لمـــا فيه من المنافع وطرق العلوم ..

واما الزينة المكتسبة فهى ما تحاوله المرأة فى تحسين خلقتها ، كالثياب والحلى والكحل والخضاب ، ومنه قوله تعـــــــالى : **(خذوا زينتكم)** .

وقـــــال الشاعر :

يأخذن زينتهن احسن ما ترى وإذا عطلن فهن خير عواطل

● الخامسة : من الزينة ظاهر وباطن ، فما ظهر : فمباح ابدا لكل الناس من المحارم والاجانب ، وقد ذكرنا ما للعلماء فيه . واما ما بطن : فلا يحل ابداؤه الا لمن سماهم الله تعالى فى هـــذه الآية ، او حل محلهم .

واختلف فى السوار ، فقالت عائشة : هى من الزينة ا
لأنها فى اليدين .

وقال مجاهد : هى من الزينة الباطنة لأنها خارج عن
وانما تكون فى الذراع .

قال ابن العربى : واما الخضاب فهو من الزينة البا
كان فى القدمين .

● السادسة : قوله تعالى : **(وليضربن بخمرهن على ج**
قرا الجمهور بسكون اللام التى هى للأمر .

وقرا ابو عمرو فى رواية ابن عباس بكسرها على الا
لأن الأصل **(فى الأم)** الامر الكسر ، وحذفت الكسرة لثقلها
تسكينها لتسكين عضد وفخذ . و (**يضربن**) فى موضع جزم
الا انه بنى على حالة واحدة أتباعا للماضى عند سيبويه

وسبب هذه الآية : ان النساء كن فى ذلك الزمان اذا
رءوسهن بالأخمرة وهى المقانع سدلنها من وراء الظهر .

قال النقاش : كما يصنع النبط ، فيبقى النحر والعنق و
لا ستر على ذلك ، فأمر الله تعالى بلى الخمار على الجيوب ،
ذلك : أن تضرب المراة بخمارها على جيبها لتستر صدرها

روى البخـــــارى عن عائشة انها قالت : رحم الله
المهاجرات(١) :

لمـــا نزل : **(وليضربن بخمـــــرهن على جيـــوبهن)**
أزرهن فاختمرن بها .

---

(١) أى النساء المهاجرات .

ودخلت على عائشة حفصة بنت اخيها عبد الرحمن رضى الله عنهم وقد اختمرت بشيء يشف عن عنقها وما هنالك ، فشقته عليها وقالت : انما يضرب بالكثيف الذى يستر .

● السابعة : الخمر — بضم الخاء والميم — جمع الخمار ، وهو ما تغطى به — المرأة — رأسها ، ومنه اختمرت المرأة وتخمرت ، وهى حسنة الخمرة .

والجيوب : جمع الجيب ، وهو موضع القطع من الدرع والقميص ، وهو من الجوب وهو القطع ..

وقال مقاتل : **(على جيوبهن)** اى على صدورهن ، يعنى على مواضع جيوبهن .

● **الثامنة** فى هذه الآية دليل على أن الجيب انما يكون فى الثوب موضع الصدر ...

وكذلك كانت الجيوب فى ثياب السلف رضوان الله عليهم ، على ما يصنعه النساء عندنا بالإندلس واهل الديار المصرية من الرجال والصبيان وغيرهم .

وقد ترجم البخارى رحمة الله عليه :

(باب جيب القميص من عند الصدر وغيره) .

وساق حديث ابى هريرة قال : ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد قد اضطرت ايديهما الى ثديهما وتراقيهما .. الحديث . وفيه فلو رايته يوسعها ولا تتوسع .

فهذا يبين لك أن جيبه عليه السلام كان فى صدره ، لأنه لو كان فى منكبه لم تكن يداه مضطرة الى ثدييه وتراقيه .

وهذا استدلال حسن .

● التاسعة : قوله تعالى : (**الا لبعولتهن**) البعل هو الزوج والسيد فى كلام العرب ، ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث جبريل (**اذا ولدت الامة بعلها**) يعنى سيدها ، اشارة الى كثرة السرارى بكثرة الفتوحات ، فيأتى الأولاد من الاماء فتعتق كل ام بولدها وكانه سيدها الذى من عليها بالعتق ، اذ كان العتق حاصلا لها من سببه .

قاله ابن العربى .

قلت : ومنه قوله عليه السلام فى مارية : (**اعتقها ولدها**) فنسب العتق اليه ..

وهذا من احسن تأويلات هذا الحديث والله أعلم .

مسالة : فالزوج والسيد يرى الزينة من المراة واكثر من الزينة اذ كل محل من بدنها حلال له لذة ونظرا .

ولهذا المعنى بدأ بالبعولة ، لأن اطلاعهم يقع على أعظم من هذا ، قال الله تعالى : (**والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين**)

المؤمنون : الآية ٥ ، ٦ .

● العاشرة : اختلف الناس فى جواز نظر الرجل الى فرج المراة ، على قولين :

احدهما : يجوز ؛ لأنه اذا جاز له التلذذ به فالنظر أولى .

وقيل : لا يجوز ، لقول عائشة رضى الله عنها فى ذكر حالها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما رأيت ذلك منه ولا رأى ذلك منى .

والأول أصح ، وهذا محمول على الأدب ، قاله ابن العربى .

وقال ابن خويز منداد : أما الزوج والسيد(١) فيجوز له أن ينظر الى سائر الجسد وظاهر الفرج دون باطنه . وكذلك المرأة يجوز ان تنظر الى عورة زوجها ، والأمة الى عورة سيدها .

ثم يقول القرطبى : قلت : وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (**النظر الى الفرج يورث الطمس**) اى العمى ، اى : فى الناظر .

وقيل : أن الولد بينهما يولد أعمى . والله أعلم .

● الحادية عشرة : لما ذكر الله تعالى الأزواج وبدأ بهم ثنى بذوى المحارم وسوى بينهم فى ابداء الزينة ، ولكن تختلف مراتبهم بحسب ما فى نفوس البشر .

فلا مرية(٢) أن كشف الأب والأخ على المرأة احوط من كشف ولد زوجها .

وتختلف مراتب ما يبدى لهم ، فيبدى للأب ما لايجوز ابداؤه لولد الزوج .

وقد ذكر القاضى اسماعيل عن الحسن والحسين رضى الله عنهما انهما كانا لا يريان امهات المؤمنين .

وقال ابن عباس : أن رؤيتهما لهن تحل .

قال اسماعيل : احسب أن الحسن والحسين ذهبا فى ذلك الى ان ابناء البعولة لم يذكروا فى الآية التى فى ازواج النبى صلى الله

---

(١) اى مالك الجارية .

(٢) اى : لا شك .

عليه وسلم ، وهى قوله تعالى : **(لا جناح عليهن فى آبائهن)**(٢). وقال فى سورة النور : **(ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن)** الآية . فذهب ابن عباس الى هذه الآية ، وذهب الحسن والحسين ـ عليهما رضوان الله ـ الى الآية الأخرى .

● الثانية عشرة : قوله تعالى : **(أو ابناء بعولتهن)** يريد أولاد الأزواج ، ويدخل فيه أولاد الأولاد وان سفلوا ، من ذكران أو اناث ، كبنى البنين وبنى البنات .

وكذلك : آباء البعولة والأجداد وان علوا من جهة الذكران لآباء الآباء ، وآباء الأمهات ، وكذلك أبناؤهن وان سفلوا .

وكذلك أبناء البنات وان سفلن ، فيستوى فيه أولاد البنين وأولاد البنات

وكذلك : أخواتهن ، وهم من ولده الآباء والأمهات أو أحد الصنفين .

وكذلك : بنو الأخوة وبنو الأخوات وان سفلوا من ذكران كانوا أو اناث كبنى الأخوات وبنى بنات الأخوات .

وهذا كله : فى معنى ما حرم من المناكح ، فان ذلك على المعانى فى الولادات وهؤلاء محارم ، وقد تقدم ، فى **(النساء)**(٢) .

والجمهور : على أن العم والخال كسائر المحارم فى جواز النظر لهما الى ما يجوز لهم .

وليس فى الآية ذكر الرضاع ، وهو كالنسب على ما تقدم .

وعند الشعبى وعكرمة : ليس العم والخال من المحارم .

---

(١) الاحزاب : من الآية ٥٥ .

(٢) راجع جـ ٥ ص ١٠٥ وما بعدها : (فى القرطبى) .

وقال عكرمة : لم يذكرهما فى الآية لأنهما تابعان لأبنائهما .

● الثالثة عشرة : قوله تعالى : **(أو نســـــائهن) يعنى** المسلمات ، ويدخل فى هذا الاماء المؤمنات ، ويخرج من نســـــاء المشركين من اهل الذمة وغيرهم ، فلا يحل لامراة مؤمنة أن تكشف شيئا من بدنها بين يدى امراة مشركة الا أن تكون أمة لها ، فذلك قوله تعالى : **(أو ما ملكت أيمانهن)** ..

● الرابعة عشرة : قوله تعالى : **(أو ما ملكت أيمانهن)** ظاهر الآية يشمل العبيد والاماء المسلمات والكتابيات . وهو قول جماعة من اهل العلم ، وهو الظاهر من مذهب عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما .

وقال ابن عباس : لا بأس أن ينظر المملوك الى شعر مولاته .

وقال اشهب : سئل مالك أتلقى المرأة خمارها بين يدى الخصى؟ فقال : نعم ، اذا كان مملوكا لها أو لغيرها ، وأما الحر فلا ..

● الخامسة عشرة : قوله تعالى : **(أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال)** : أي غير أولى الحاجة . والاربة الحاجة ، يقال : اربت كذا ، أرب اربا ..

واختلف الناس فى معنى قوله تعالى :

(أو التابعين غير أولى الاربة) فقيل : هو الأحمق الذى لا حاجة به الى النساء . وقيل الأبله . وقيل : الرجل يتبع القوم فيأكل معهم ويرتفق بهم ، وهو ضعيف لا يكترث بالنساء ولا يشتهيهن . وقيل : العنين . وقيل : الخصى . وقيل : المخنث . وقيل : الشيخ الكبير، والصبى الذى لم يدرك ..

● السادسة عشرة : وصف التابعين ــ (**غير**) لأن التابعين غير مقصودين بأعيانهم ، فصار اللفظ كالنكرة و (**غير**) لايتمخض

نكرة فجاز أن يجرى وصفا على المعرفة . وان شئت قلت هو بدل . والقول فيها كالقول فى (**غير المغضوب عليهم**) .

وقرا عاصم وابن عامر (**غير**) بالنصب فيكون استثناء ، اى يبدين زينتهن للتابعين الا ذا الاربة منهم . ويجوز أن يكون حالا ، اى والذين يتبعونهن عاجزين عنهن ، قاله أبو حاتم .

وذو الحال ما فى (**التابعين**) من الذكر .

● السابعة عشرة : قوله تعالى : (**أو الطفل**) اسم جنس بمعنى الجمع ، والدليل على ذلك نعته بـ (**الذين**) . وفى مصحف حفصة (**أو الأطفال**) على الجمع . ويقال : طفل ما لم يراهق الحلم . و (**يظهروا**) معناه يطلعوا بالوطء ، اى لم يكشفوا عوراتهن للجماع لصغرهن . وقيل لم يبلغوا أن يطيقوا النساء ، يقال : ظهرت على كذا اى علمته ، وظهرت على كذا اى قهرته ..

● الثامنة عشرة : اختلف العلماء فى وجوب ستر ما سوى الوجه والكفين منه(1) على قولين :

احدهما : لا يلزم ، لأنه لا تكليف عليه ، وهو الصحيح . والآخر يلزمه لأنه قد يشتهى وقد تشتهى أيضا هى ، فان راهق فحكمه حكم البالغ فى وجوب الستر .

ومثله : الشيخ الذى سقطت شهوته ، اختلف فيه أيضا على قولين كما فى الصبى ، والصحيح : بقاء الحرمة ، قاله ابن العربى .

● التاسعة عشرة : اجمع المسلمون على أن السوءتين عورة من الرجل والمرأة ، وان المرأة كلها عورة ، الا وجهها ويديها فانهم اختلفوا فيهما . وقال اكثر العلماء فى الرجل : من سرته الى ركبته عورة ، لا يجوز أن ترى .

---

(1) اى من الطفل .

● الموفية عشرين : قال أصحاب الراى : عورة المراة مع عبدها من السرة الى الركبة . ابن العربى : وكأنهم ظنوها رجلا أو ظنوه امراة ، والله تعالى قد حرم المراة على الاطلاق لنظر او لذة ، ثم استثنى اللذة للأزواج وملك اليمين ، ثم استثنى الزينة لاثنى عشر شخصا العبد منهم ، فما لنا ولذلك ! هذا نظر فاسد ، واجتهاد عن السداد متباعد .

وقد تاول بعض الناس قوله : **(أو ما ملكت أيمانهن)** على الاماء دون العبيد ، منهم سعيد بن المسيب ، فكيف يحملون على العبيد ثم يلحقون بالنساء ، هذا بعيد جدا ! وقد قيل : ان التقدير أو ما ملكت أيمانهن من غير اولى الاربة أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال ، حكاه المهدوى .

● الحادية والعشرون : قوله تعالى :

(ولا يضربن بأرجلهن) الآية . اى لا تضرب المراة برجلها اذا مشت لتسمع صوت خلخالها ، فاسماع صوت الزينة كابداء الزينة واشد ، والغرض التستر ..

اسند الطبرى عن المعتمد عن ابيه انه قال : زعم حضرمى ان امراة اتخذت برتين — خلخالين — من فضة ، واتخذت جزعا — من الخرز — فجعلت فى ساقها فمرت على القوم فضربت برجلها الأرض فوقع الخلخال على الجزع فصوت ، فنزلت هذه الآية .

وسماع هذه الزينة أشد تحريكا للشهوة من ابدائها ، قاله الزجاج .

● الثانية والعشرون : من فعل ذلك منهن فرحا بحليهن فهو مكروه ، ومن فعل ذلك منهن تبرجا وتعرضا للرجال فهو حرام مذموم .

وكذلك من ضرب بنعله من الرجال ، ان فعل ذلك تعجبا حرم ، فان العجب كبيرة ، وان فعل ذلك تبرجا لم يجز .

● الثالثة والعشرون : قال مكى رحمه الله تعالى : ليس فى كتاب الله تعالى آية اكثر ضمائر من هذه ، جمعت خمسة وعشرين ضميرا للمؤمنات من مخفوض ومرفوع .

● ثم يقول القرطبى رحمه الله تعالى بعد ذلك ، حول قوله تعالى (**وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعـــــلكم تفلحون**) . ما خلاصته :

ان التوبة واجبة ولا خلاف بين الامة فى ذلك ، لأن الله تعالى امر بها ، فى قوله (**وتوبوا**) وفعل الأمر ينصرف الى الوجـــوب ، والواجب ما يثاب الانسان على فعله ويعاقب على تركه .

وان التوبة فرض متعين .... ثم يقول :

والمعنى : وتوبوا الى الله فانكم لا تخلون من سهو وتقصير فى اداء حقوق الله تعالى ، فلا تتركوا التوبة فى كل حال .

● كما يقول الصاوى على الجلالين حول هـــــذه الآية : (**قــوله**) : (**وتوبوا الى الله جميعا**) : هذا احسن اختتام لهـــذه الآية ، كأن الله يقول :

لا تقنطوا من رحمتى فمن كان قد وقع منه شىء مما نهيته عنه فليتب فان التوبة فيها الفلاح والظفر بالمقصود .

●● فاذا كنت اخا الاسلام ، وأنت أيتها الأخت المسلمة :

اذا كنتما قد وقفتما على ضرورة تنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى ، بالنسبة لغض البصر الذى كما رأيتما قد بدأ الله سبحانه وتعالى به ، لأنه هو المحرك للغريزة الجنسية من الجنسين ، ولا سيما اذا لم يكن هناك ايمان يحفظهما :

فقد رأيت وبعد أن عرفنا أهم الأحكام المتعلقة بغض البصر تنفيذا لأمر الله سبحانه وتعالى للمؤمنين والمؤمنات :

رأيت أن أشير — كذلك — الى بعض الأحكام الأخرى المتعلقة بالمرأة ، والتى يجب عليها أن تلتزم بها حتى لا تكون فتنة للرجال ، وسببا فى هلاكهم ، كما يشير الحديث الشريف الذى يقول فيــــه الرسول صلى الله عليه وسلم :

(ما تركت بعدى فتنـــة أضر على الرجال من النســـاء) . متفق عليه من حديث أســــامة بن زيد وأول ما سأبدأ به الآن ، هـــو(١) :

غريزة التبرج واظهار الزينة

يقول المودودى : ومن لواحق فتنة النظر هذه ما يحبب الى المرأة أن يرى حسنها وجمالها وهذه الرغبة لا تكون جلية بارزة ابدا . ولكن هذا النزوع الى اظهار الزينة يكمن لامحالة فى مطاوى النفس وهو الذى تظهر آثاره فى زينة اللباس وتجميل الشعر وانتخاب الأزياء الرقيقة الجذابة ، وما الى ذلك من الجزئيات الخفيفة التى لا يمكن حصرها . وقد عبر القرآن عن ذلك بمصطلح جامع هو : **(تبرج الجاهلية)** فكل زينة وكل تجميل تقصد به المرأة أن تحلو فى عين الأجانب ، يطلق عليه (**تبرج الجاهلية**) حتى القناع الذى تستتر به المرأة ، ان انتخب من الألوان البارقة والشكل الجذاب لكى تلذ به أعين الناظرين ، فهو أيضا من مظاهر التبرج الجاهلى ، وليس فى الامكان أن تضبط هذه المظاهر كلها بقانون ، بل الأمر موكول فى ذلك الى ضمير المرأة نفسها فعليها أن تحاسب نفســـها وتتجسس فيها لعلها يكمن فى مطاويها هذا النزوع الى التبرج فان وجدته ، فهى لا ريب مخاطبة فى الأمر الالهى : **(ولا تبرجن تبرج**

---

(١) كما هـــو ثابت بتصــرف فى كتاب (الحجاب) للمودودى .

الجاهلية الأولى) الأحزاب : الآية ٣٣ . وان الزينة التى تخلو من كل نية فاسدة هى الزينة المشروعة فى الاسلام ، وأما التى تشوبها شائبة من فساد النية فهى زينة الجاهلية .

فتنـــــة اللســـــــان

ووكيل آخر لشيطان النفس هو اللسان ، وما اكثر الفتن التى يبعثها اللسان وينشرها رجل وامرأة يتكلمان ، ولا يبدو فى حديثهما ما يشكك او يريب . ولكن خائنة القلوب قد جعلت الصوت رخيما، واللهجة مشوقة والحديث عذبا فيشير اليها القرآن بقوله :

(ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا) الأحزاب : الآية ٣٢ .

ثم هذه الخائنة القلبية هى التى تلتذ بحكاية أحوال الناس فى علاقتهم الجنسية المشروعة او غير المشروعة ، كما تلتذ باستماعها، ولأجل هذه اللذة تختلق قصص الحب والغرام من كل صحيح الخبر وموضوعه ، وتسرد فى النوادى والمحافل ، فتنتشر منها فى المجتمع انتشار النار فى الهشيم . فينبه القرآن على هذا ايضا بقوله :

(ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة) النور : الآية ١٩ .

ولفتنة اللسان شعب أخرى متعددة . وفى كل شـــعبة منها تعمل خائنة من خوائن القلوب عملها وقد استقرأها الاسلام ونبه عليهـــا .

● فليس للمراة ان تصف أحوال غيرها من النساء لزوجها : لقول النبى صلى الله عليه وسلم : **(لا تباشر المراة المراة حتى تصفها لزوجها كانه ينظر اليها)** رواه الترمذى .

● والمراة والرجل كلاهما قد نهى عن أن ينشر سره للناس ،

لأن ذلك يشيع الفاحشة ويغرى بها القلوب . كما ورد فى حديث رواه أبو داود .

● وان ادرك الامام سهو فى الصلاة ، اى وجب فيها تنبيه على شيء فعلى الرجال أن يقولوا : سبحان الله ، ولكن النساء أمرن بأن يصفقن وليس لهن ان يجهرن بقول . كما جاء فى الحديث الذى رواه أبو داود : باب التصفيق فى الصلاة . والبخارى : فى باب التصفيق للنساء .

فتنـــة الصـــوت

وربما سكت اللسان . وقامت حركات أخرى تؤثر على سمع السامع بصوتها . وهذا ايضا من باب فساد النية ، **فيمنعه الاسلام** بقوله : **(ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن)** .

فتنـــة الطيب

والطيب ايضـــا رسول من نفس شريرة الى نفس شريرة اخرى . وهو من الطف وسائل المخابرة والمراسلة ، مما تهاون به النظم الأخلاقية عامة ولكن الحياء الاسلامى يبلغ من رقة الاحساس ان لا يحتمل حتى هذا العامل اللطيف من عوامل الاغراء :

● فلا يسمح للمراة المسلمة أن تمر بالطريق او تغشى المجالس مستعطرة . لأنها وان استتر جمالها وزينتها ينتشر عطرها فى الجو ويحرك العواطف . قال النبى صلى الله عليه وسلم :

(المراة اذا استعطرت فمرت بالمجلس ، فهى كذا ، يعنى زانية) رواه الترمذى .

وقال عليه الصلاة والسلام :

(اذا شـــهدت احـــداكن المســـجد فلا تمسن طيبـــا) رواه مالك فى الموطا ، ورواه مسلم . وقال صلى الله عليه وســـلم :

(طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه ، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه) رواه الترمذى وأبو داود .

فتنــــة العـــرى

ثم بعد ذلك يقول المودودى أكرمه الله : ان التعبير النفسى الكامل الصحيح الذى قد عبر به الاسلام عن غريزة الحياء الانسانى فى باب ستر العورات ، لا مثيل له فى حضارة من حضارات العالم . ومن حال أرقى أمم الأرض وأعلاها ثقافة اليوم — دع عنك غيرها — ان رجـالها ونساءها لا يتحرجون من كشف أى جــزء من أجزاء جسدهم . واللباس عندهم لمجرد الزينة ، لا للستر — ولكن الاسلام اكثر ما يهمه من اللباس هو الستر دون جاذبية فيها للصنف الآخر . والعرى عند الاسلام من الوقاحة وسوء الأدب الذى لا يكاد حياؤه يصبر عليه بحال من الأحوال .

● وماذا يقال فى الأجانب ، ان الاسلام لا يحب حتى للزوجين ان يتجرد أحدهما امام الآخر . ففى الحديث الشريف :

(واذا أتى احدكم أهله فليستتر ، ولا يتجــــرد البعيرين) رواه ابن ماجـــه .

وقالت عائشة رضى الله عنها :

(ما نظرت الى فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم) : شمائل الترمذى .

وأفضل درجة من الحياء أن لا يرضى الاسلام للمرء ان يتجرد حتى فى خلوته ، لأن الله أحق أن يستحيا منه . كما ورد فى حديث رواه الترمذى .

وجاء كذلك فى الحديث الشريف :

(اياكم والتعرى فان معكم من لا يفارقكم الا عند الغائط وحين يفضى الرجل الى أهله فاستحيوهم وأكرموهم) رواه الترمذى .

● وما اللباس الذى يشف عن الجسم ويفضح العورات بلباس فى نظر الاسلام .

قال صلى الله عليه وسلم :

(نساء كاسيات عاريات مميلات مائلات ، رءوسهن كاسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها) رواه مسلم .

●● وأما عن :

حكم الوجه

فقد قال المودودى ، ما خلاصته :

ان الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها :

● **(يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين)** الأحزاب : آية ٥٩ .

قد نزلت خاصة فى ستر الوجه .

ثم يقول : **(والجلابيب)** جمع جلباب وهو الثوب الواسع أو الخمار أو الرداء . و (**يدنين**) أى : يرخين .

فمعنى الآية بالحرف : أن يرخين جانبا من خمرهن أو ثيابهن على أنفسهن .

وهذا هو المفهوم من **(ضرب الخمار على الوجه)** والمقصود به ستر الوجه واخفاؤه سواء كان بضرب الخمار أو بلبس النقاب، أو بطريقة أخرى غيره ..

وقد ذكرت الآية من مصالحه أن المسلمات اذا خـــرجن من بيوتهن متسترات على هذا النحو ، علم أهل الريبة من النسـاء انهن شريفات ، لا اماء ولا متبذلات فلم يتعرض لهن احد . .

وجميع المفسرين قد ذهبوا هذا المذهب فى تفسير هذه الآية :

فيروى عن ابن عباس رضى الله عنه قوله :

(امر الله نساء المؤمنين اذا خرجن من بيوتهن فى حاجة أن يغطين وجوههن من فوق بالجلابيب) .

تفسير ابن جرير الطبرى ـــ ج ٢٢/٢٩ .

● وعن ابن سيرين قال : **(سالت عبيدة بن ســفيان بن الحارث الحضرمى عن قوله تعالى : ((قل لأزواجك وبنـــاتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن)) قال : فقال بثوبه ، فغطى راســــه ووجهه وابرز ثوبه عن احــــدى عينيه) .**

تفسير الطبرى ٢٢/٢٢٩ أحكام القرآن للجصاص ـــ ٣/٤٥٧ .

● ويقول العلامة ابن جرير الطبرى فى تفسير هذه الآية :
(يا ايها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين لا تتشبهن بالاماء فى لباسهن اذا هن خرجن من بيوتهن لحـــــاجتهن ، فكشــفن شعورهن ووجوههن ، ولكن يدنين عليهن من جلابيبهن لئلا يعرض لهن فاسق اذا علم أنهن حرائر ، بالأذى من قول).

تفسير الطبرى ـــ ٢٢/٢٩ .

● ويقول العلامة ابو بكر الجصاص : **(وفى هذه الآية دلالة على ان المراة الشابة مامورة بستر وجهها على الأجنبيين واظهـــار الستر والعفاف عند الخروج لئلا يطمع اهـــل الريب فيهن)**
أحكام القرآن ـــ ٣/٤٥٨ .

● وقال العلامة النيسابورى فى تفسير هذه الآية :

(كانت النساء فى أول الاسلام على عـــادتهن فى الجاهلية متبذلات يبرزن فى درع وخمار من غير فصل بين الحرة والأمة . فأمرن بلبس الأردية وستر الرأس والوجوه . (ذلك) الأدناء (أدنى) وأقرب الى (أن يعرفن) أنهن حرائر أو أنهن لسن بزانيات ، فان التى سترت وجهها أولى بأن تستر عورتها) .

تفسير غرائب القرآن على حاشية ابن جرير الطبرى ـــ ج٢٢/٣٢

●●وقال الامام فخر الدين الرازى :

(وكان فى الجاهلية تخرج الحرة والأمة مكشوفات يتتبعهن الزناة وتقع التهم . فأمر الله الحرائر بالتجلابيب . وقوله تعالى : (ذلك أدنى أن يعرفن أنهن لا يزنين : لأن من تستر وجهها مع أنه ليس بعورة لا يطمع فيها أن تكشف عورتها ، فيعرفن أنهن مستورات لا يمكن طلب الزنى منهن) تفسير الكبير للرازى ـــ ج ٦/٩٦ .

وقال القاضى البيضاوى: **(يدنين عليهن من جلابيبهن)** : أى يغطين وجوههن وابدانهن ، بملاحفهن اذا برزن لحاجـــة . و (**من**) للتبعيض . فان المرأة ترخى بعض جلبابها وتتلفع ببعض . ذلك أدنى أن يعرفن : يميزن من الاماء والقينات . فلا يؤذين : فلا يؤذيهن أهل الريبة بالتعرض لهن . تفسير البيضاوى ج ٤/١٦٨ .

●● فعلى الأخت المسلمة أن تلاحظ كل هذا عند خروجها من بيتها حتى لا تتعرض لايذاء أهل الفسق والفجور .

وحســـبى ، أن أزودهـــا كذلك بتلك الآداب الاسلامية ـــ كتلخيص ـــ لكل ما ذكرناه ـــ كما هو ثابت فى كتاب (**الحـــلال والحرام فى الاسلام**) حتى تكون كذلك من المطبقات لتعاليم الأسلام، وهى :

● غض البصر : حتى تكون من المؤمنات المخاطبات فى قوله تعالى : **(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ..)** ، وحتى تكون كذلك من المتزينات بالحياء الذى هو أعظم زينة ، وهو الخير كله ، ففى الحديث الشريف : **(الحياء خير كله)** .

● عدم الاختلاط بالرجال اختلاط تلاصق وتماس ، كما يحدث فى دور السينما ، ومدرجات الجامعات ، وقاعات المحاضرات والاماكن العامة ، ومركبات النقل ، ونحوها فى هذا الزمان .

وحسبها هذا الحديث الشريف الذى رواه معقل بن يسار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انه قال : **(لأن يطعن فى راس احدكم بمخيط(١)من حديد ، خير له من أن يمس امرأة لاتحل له)** قال المنذرى : رواه الطبرانى والبيهقى ، ورجال الطبرانى ثقات ، رجال الصحيح .

● ان تكون ملابسها موافقة لأدب الشرع الاسلامى ، واللباس الشرعى هو الذى يجمع الأوصاف التالية :

١ ـــ أن يغطى جميع الجسم : عدا ما استثناه القرآن فى ، **(ما ظهر منها)** وارجح الأقوال انه الوجه والكفان .

٢ ـــ الا يشف ويصف ما تحته : فقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم : **(إن من اهل النار نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات .. لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها)** .

ومعنى كاسيات عاريات : أن ثيابهن لا تؤدى وظيفة الستر فتصف ما تحتها لرقتها وشفافيتها .

دخلت نسوة من بنى تميم على عائشة رضى الله عنها وعليهن ثياب رقاق فقالت عائشة :

---

(١) المخيط : ما يخيط به كالابرة والمسلة ونحوهما .

(ان كنتن مؤمنات فليس هذا بثياب المؤمنات).

وأدخلت عليها امرأة عروس عليها خمار رقيق شفاف فقالت : لم تؤمن بسورة (**النور**) امرأة تلبس هذا .

٣ ــ الا يحدد أجزاء الجسم ، ويبرز مفاتنه ، وان لم يكن رقيقا شفافا ، كتلك الثياب التى رمتنا بها حضارة الجسد والشهوة ــ أعنى الحضارة الغربية ــ التى يتسابق مصمموا الأزياء فيها فى تفصيل الثياب التى تبرز النهود والخصور والأرداف ونحوها ، بصورة تهيج الغرائز وتثير الشهوات الدنيا فلابساتها كاسيات عاريات أيضا ، وهى أشد اغراء وفتنة من الثياب الرقيقة الشفافة.

٤ ــ الا يكون مما يختص بلبسه الرجال كالبنطلون فى عصرنا، وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم لعن المتشبهات من النساء بالرجال ، كما لعن المتشبهين من الرجال بالنساء ، ونهى المرأة أن تلبس لبسة الرجل ، والرجل أن يلبس لبسة المرأة .

٥ ــ الا يكون لباسا اختص بلبسه الكافرات من اليهوديات والنصرانيات والوثنيات ، فان قصد التشبه بهؤلاء محظور فى الاسلام الذى يريد لرجاله ونسائه التميز والاستقلال فى الظهر والمخبر ، ولهذا امر بمخالفة الكفار فى أمور كثيرة . ففى الحديث الشريف : (من تشبه بقوم فهو منهم) .

● أن تلتزم ــ المرأة ــ الوقار والاستقامة فى مشيتها وفى حديثها وتتجنب الاثارة فى سائر حركات جسمها ووجهها ، فان التكسر والميوعة من شأن الفاجرات لا من خلق المسلمات . قال تعالى :

(فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض)
الأحزاب : الآية ٣٢ ..

● ألا تتعمد جذب انتباه الرجال الى ما خفى من زينتها بالعطور أو الرنين أو نحو ذلك ، قال تعالى : **(ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن)** .

فقد كانت المرأة فى الجاهلية حين تمر بالناس تضرب برجلها، ليسمع قعقعة خلخالها فنهى القرآن عن ذلك ، لما فيه من اثارة لخيال الرجال ذوى النزعات الشهوانية ، ولدلالاته على نية سيئة لدى المرأة فى لفت أنظار الرجال اليها والى زينتها .

ومثل هذا فى الحكم : ما تستعمله المرأة من ألوان الطيب والعطور ذات الروائح الفاتحة ، لتستثير الغرائز ، وتجذب اليها انتباه الرجال ، وفى الحديث الشريف : **(أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية)** رواه أبو داود والترمذى ، وقال: حديث حسن صحيح ، رواه النسائى ، وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما ، ورواه الحاكم ، وقال : صحيح الاسناد .

ثم يقول بعد ذلك ، صاحب كتاب (الحلال والحرام فى الاسلام) :

ومن هنا تعلم أن الاسلام لم يفرض على المرأة ـ كما يقول ـ أن تظل حبيسة البيت ، لا تخرج منه الا الى القبر ، بل أباح لها الخروج للصلاة ، وطلب العلم ، وقضاء الحاجات ، وكل غرض دينى ودنيوى مشروع . كما كان يفعل ذلك نساء الصحابة ومن بعدهم من خير القرون . وكان منهن من يخرج للمشاركة فى القتال والغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الخلفاء والقواد . وقد قال عليه الصلاة والسلام لزوجه سودة : **(قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن)** رواه البخارى .

وقال صلى الله عليه وسلم : **(اذا استأذنت امرأة أحدكم الى المسجد فلا يمنعها)** . رواه البخارى .

وفى حديث آخر : **(لا تمنعوا امـاء الله مسـاجد الله)** . رواه مسلم .

●● هذا ، ولما كان :

الـزواج

بالنسبة للشباب المسلم ـ بصفة خاصـة ـ : من أهـم الأسباب التى تعينهم على غض أبصارهم ، وتحصين فروجهم ، تنفيذا لهذا الحق الأول من حقوق الطريق :

فقد رأيت أن أشير الى بعض الملاحظات الهـامة المتعلقة بالزواج حتى يتحقق الهدف المرجو منه ، وهو الذى أشار اليـه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله :

● **(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه اغض للبصر ، واحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصـوم فانه له وجاء)** .

رواه البخارى ومسلم واللفظ لهما ، وابو داود ، والترمذى والنسائى .

وقبل أن اقف معك على تلك الملاحظات ، اليك أولا شرح هذا الحديث الذى سنستعين به على فهم تلك الملاحظات :

قال النووى :

(معناه : من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤونته وهى مؤن النكاح فليتزوج ، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليقطع شهوته ، ويقطع شر منيه كما يقطعه الوجاء ، وعلى هذا القول وقع الخطاب مع الشباب الذين هم مظنة شهوة النساء ولا ينفكون عنها غالبا) .

القول الثانى : ان المراد هنا بالباءة مؤن النكاح ، سميت باسم ما يلازمها ، وتقديره : من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم .

قالوا : والعاجز عن الجماع لا يحتاج الى الصوم لدفـــــع الشهوة ، فوجب تأويل الباءة بالمؤن) أ هـ .

●● وعلى هذا ، فاننا نستطيع الآن — وبعد أن وقفنا على هذا الشرح الجامع — : أن نشير الى تلك الملاحظات التى :

● أولها : أنه يجب على الشباب الذى يستطيع الباءة ان يسارع بالبحث عن الزوجة الصالحة التى تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم عن مواصفاتها فقال :

(ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة : ان أمرها أطاعته ، وان نظر اليها سرته ، وان اقسم عليها أبرته ، وان غاب عنها نصحته فى نفســــها وماله) .

رواه ابن ماجه عن على بن زيد عن القاسم .

ومعنى ، أطاعته : اى ، فيما لا معصية فيه لله عز وجل ، فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

وسرته : أى ، لا يقع نظره عليها الا ويحس بالسرور والفرح ، فهى دائمة الابتسامة نظيفة البدن جميلة الحركات ...

وأبرته : أى ، ان حلف على شىء ان تفعله او لا تفعله أبرت يمينه ولم توقعه فى الحنث .

ونصحته فى نفسها : أى ، انها لا تخرج من بيتها ما دام غائبا الا لضرورة ، وان لا تسمح لأحد من الرجال بالدخول عليها ، وان لا توطىء فراشه من يكره ، وأن تكون على الحال التى يحبها منها .

ونصيحتها له فى ماله : ان تجتهد فى حفظه وتنميته ، وأن لاتنفق منه الا بقدر حاجتها بلا تبذير وتقتير ...

تلك هى الزوجة الصالحة التى يجب أن يختارها الشـــــاب الصالح .

وقد يتساءل الشاب الصالح ، وكيف العثور عليها ؟

فأقول له : انك تستطيع العثور عليها فى بيـــوت الصـــالحين والصالحات الذين يطبقون تعاليم الاسلام على أنفسهم وأهليهم بكل فخر واعتزاز .

وتستطيع العثور على هذا الرجل الصالح فى بيت من بيوت الله ، ففى الحديث الشريف : **(اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان ...)** . ففى المساجد ستلتقى بالمؤمنين الذين ان خالطتهم وسألتهم عن الزوجة الصالحة وجهوك أو زوجوك عندما يلمسون فيك الصلاح والاستقامة .

فقد يعرض أحدهم عليك ابنته أو أخته ، ولا حرج فى هذا :

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تأيمت حفصه بنت عمر من خنيس بن حذافة . وكان من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدراً . فتوفى بالمدينة ، فلقيت عثمان بن عفان رضى الله عنه فعرضت عليه حفصة ، فقلت : ان شئت أنكحتك حفصة ؟ ! فقال : سأنظر فى ذلك . فلبث ليال ، فلقيته ، فقال : ما أريد أن أتزوج يومى هذا ! قال عمر : فلقيت أبا بكر الصديق رضى الله عنه، فقلت : ان شئت أنكحتك حفصة . فلم يرجع الى شيئا ـــ أى لم يرد على السؤال ـــ فكنت عليه أوجد منى على عثمان ـــ أى تأثرت منه أكثر من تأثرى من عثمان ـــ فلبث ليال فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها اياه .

فلقينى ابو بكر فقال : لعلك وجدت على حين عرضت على

حفصة فلم ارجع اليك شيئا الا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها ــ أى خطبها لنفسه ــ فلم أكن لأفشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولو تركها نكحتها .

وقد حدث ذلك من شعيب عليه السلام ، كما قص علينـــا القرآن الكريم ، اذ عرض بنتيـــه على موسى عليه الســـلام : **(انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين) :**

وقد حدث ذلك من شعيب عليه السلام لما سمع احدى ابنتيه تذكر موسى باعجاب اذ تقول : **(يا أبت اســتأجره ان خـــير من استأجرت القوى الأمين)** فأدرك أنها احبت فيه الجسم **(القوى)** وكمال الخلق **(الأمين)** .

ولما علم شعيب عليه السلام أن موسى عليه السلام فقـــير لا يملك مهرا ، ولا يجد عملا لفراره من مدينته ، لما وكز فيها أحـــد الناس فخر مغشيا عليه ، فجعل ــ شعيب ــ مهر ابنته تعيين موسى عليه السلام فى عمل معه يساعده **(على أن تأجرنى ثمانى حجج ...)** ــ أى : على أن تعمل اجيرا عندى ثمان سنوات ــ **(فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ، ســـتجدنى ان شاء الله من الصالحين)** . القصص : من الآية ٢٧ .

ففى هذه القصة أستحباب مساعدة التقى الصالح فضلا عن عرض المرأة عليه لزواجه بها .

وفى الحديث الشريف : **(اذا آتاكم من ترضون دينه وخلقـــه فانكحوه . الا تفعلوه تكن فتنـــــة فى الأرض وفســـاد كبير)** . رواه الترمذى .

لذلك زوج أبو حذيفة بنت أخيه لخادمه سالم ..

وزوج عبد الرحمن بن عوف **(الغنى)** أخته لبلال **(الفقير)** .

فليكن تركيزك أخا الاسلام على اختيار الزوجة الصالحة ، ذات الدين واحذر التركيز على ذات المال أو الجمـــال فقط ، ففى الحديث الشريف يقول صلوات الله وسلامه عليه :

(تنكح المرأة ، على احدى خصــــال : لجمالهــا أو مالهــا وخلقها ، ودينها ، فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك) .

رواه أحمد باسناد صحيح والبزار ، وأبو يعلى ، وابن حبان فى صحيحه .

قال القرطبى : (**معنى الحديث : أن هذه الخصال الأربع هى التى ترغب فى نكاح المرأة لأجلها فهو خبر عما فى الوجود من ذلك لا أنه وقع الأمر بذلك ، بل ظاهرة اباحة النكاح لقصد كل من ذاك ، لكن قصد الدين أولى**) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

(تنكح المرأة لأربع : لمالها ، واحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك) .

رواه البخارى ومسلم ، وأبو داود والنسائى ، وابن ماجه .
وقال صلى الله عليه وسلم :

(من تزوج امرأة لعزها ، لم يزده الله الا ذلا ، ومن نزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا أن يغض بصره ، ويحصن فرجه ، أو يصل رحمه بارك الله له فيها ، وبارك لها فيه) رواه الطبرانى فى الأوسط .

وقال صلى الله عليه وسلم :

(لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن(١) ،

---

(١) أى يجلب لهن الشقاء .

ولا تزوجوهن لاموالهن فعسى اموالهن أن تطغيهن(١)، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرماء(٢) سوداء ذات دين أفضل) .

رواه ابن ماجه عن طريق عبد الرحمن بن زياد ابن انعم .

● فلاحظ كل هذا اخا الاسلام وركز كما أوصاك الرسول صلى الله عليه وسلم على ذات الدين ، وعندما ستعثر عليها استشر اقرب الناس اليك ...

فان وافقوا ، أرسل والدتك ، او امراة امينة لتتعرف عن حالتها لعل فيها عيبا يكون مستترا .

ثم بعد ذلك لك أن تسأل بعض من يختلط بعشيرتها من جيران واقارب عن أصلها وسلوكها ، ثم لك أن تنظر بعد ذلك فى حضور محارمها الى وجهها وكفيها فقط .

ثم بعد ذلك من السنة — ان وجدت فيها سعادتك — : ان تستخير الله سبحانه وتعالى ، وكيفية الاستخارة الشرعية :

ان تصلى ركعتين من غير الفريضة ثم تقول :

(اللهم انى أستخيرك(٣) بعلمك واستقدرك بقدرتك واسالك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب . اللهم ان كنت تعلم هذا الأمر(٤) خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ، أو قال : عاجل أمرى وآجله(٥) فاقدره لى

---

(١) أى تزيدهن طغيانا وتجبرا .

(٢) أى شقت اذنها عرضا .

(٣) أى أطلب منك الخيرة أو الخير .

(٤) يسمى حاجته هنا .

(٥) يجمع بينهما .

ويسره لى ثم بارك لى فيه . وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ، أو قال : عاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ، ثم ارضنى به) قال :

ويسمى حاجته : أى يسمى حاجته عند قوله :

(اللهم ان كان هذا الأمر) .

رواه البخارى .

فان كانت الاستخارة خيرا :

فلك أن تتقدم بعد ذلك **(شبكة)** غير مغال فيها ، ومن قبيل الهدايا التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها : **(تهادوا تحابوا)** من رياض الصالحين للامام النووى .

واذا ما انشرح صدرك للزواج فانك تستطيع أن تتفق مع أهلها على المهر والزفاف على أساس شرعى لا غلو فيه ولا فسوق ...

● واذا لم تستطع الباءة فعليك بما أوصاك به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو الصوم ، فانه لك وجاء أى مضعف لشهوتك فضلا عن الثواب الجزيل :

وحسبك أن تعود نفسك على صيام الاثنين والخميس . ففى الحديث الشريف :

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : **(تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس ، فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم) .**

رواه الترمذى وقال حديث حسن ، ورواه مسلم بغير ذكر صوم .

وحسبك كذلك ان تصوم ثلاثة أيام من كل شهر ، والأفضل صومها فى أيام البيض ، وهى : الثـالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر ، وقيل : الثانى عشر ، والثالث عشر ، والرابع عشر(١) . والصحيح المشهور هو الأول .

ففى الحديث الشريف :

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(اذا صمت من الشهر ثلاثا فصم ثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، وخمس عشرة)** . رواه الترمذى وقال حديث حسن .

وفى الحديث :

عن قتادة بن ملحان رضى الله عنه قال : **(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : يامرنا بصيام أيام البيض : ثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، وخمس عشرة)** ـــ رواه أبو داود .

وفى الحديث :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : **(أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بثلاث : صيام ثلاثة أيام من كل شـــهر ، وركعتى الضحى ، وأن أوتر قبل أن أنام)** متفق عليه .

وفى الحديث :

عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : **(أوصانى حبيبى صلى الله عليه وسلم بثلاث لن أدعهن ما عشت : بصيام ثلاثة أيام من كل شـــهر ، وصـلاة الضـحى ، وبان لا أنـــام حتى أوتر)** . رواه مسلم .

والصيام كما يقول الامام الغزالى رحمه الله :

---

(١) راجع رياض الصالحين : باب استحباب صوم ثلاثة أيام من كل شهر .

(الصيام زكاة النفس ، ورياضة الجسم ، وداع للبر ، فهو للانسان وقاية وللجماعة صيانة ، فى جوع الجسم صفاء القلب وايقاد القريحة وانفاذ البصيرة ، لأن الشبع يورث البلادة ، ويعمى القلب ، ويكثر البخار فى الدماغ ، فيتبلد الذهن ، والصبى اذا ما كثر أكله بطل حفظه ، وفسد ذهنه ، أحيوا قلوبكم بقلة الضحك ، وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق) .

وكما يقول الامام محمد عبده رحمه الله :

ان الصوم يحدث لصاحبه ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه ، وفى هذه المراقبة أكبر معد النفوس ومهىء لها للسعادة فى الآخرة والاستقامة فى الدنيا .

انظر هل يقدم من صدق مع الله فى صومه وراقبه فيه مخلصا على غش الناس ومخادعتهم ؟ هل يسهل عليه أن يراه الله آكلا لأموالهم بالباطل ؟ هل يحتال على الله من منع الزكاة ؟ أم هل يحتال على أكل الربا ؟ هل يقترف المنكرات جهارا ، أو يسدل بينه وبين الله فى المعاصى ستارا ؟

كلا ان صاحب هذه المراقبة لا يسترسل فى المعاصى ، اذ لا يطول أمد غفلته عن الله ، واذا نسى وألم بشىء منهما كان سريع التوبة قريب الأوبة :

(ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) . الأعراف : ٢٠١ .

●● والآن أخا الاسلام ، وبعد أن وقفت على الأسس التى كان لابد ان تقف عليها حتى تغض بصرك كما أمرك الله وأمر أختك المسلمة فى سورة النور :

فقد رأيت ــ كذلك ــ وقبل ان أنتقل الى الحق الثانى من حقوق

الطريق : ان اذكرك كذلك بضرورة شكر الله تعالى شكرا ايجابيا على نعمة البصر ، فاليك :

● روى جابر رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم: **(رأى امـــرأة فدخــل على زينب فقضى حاجته وخـــرج)** وقال صلى الله عليه وسلم : **(ان المرأة اذا اقبلت ، أقبلت بصورة شيطان فاذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله ، فان معها مثل الذى معها)** .

رواه مسلم ، والترمذى واللفظ له وقال : حسن صحيح .

● وعن سعيد بن المسيب ، قال : ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم ييأس ابليس ان يهلكه بالنساء ، ولا شىء أخوف عندى منهن .

وما بالمدينة بيت ادخله الا بيتى وبيت ابنتى ، أغتسل فيه يوم الجمعة ، ثم أروح .

● وقال بعضهم : ان الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندى، وانت سهمى الذى ارمى به فلا أخطىء ، وانت موضـــع سرى ، وانت رسولى فى حاجتى .

● وقيل ليحيى عليه السلام : ما بدء الزنا ؟ قال : النظـــر والتمنى .

● وقال سعيد بن جبير : انما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة ، ولذلك قال لابنه عليه السلام : يابنى ، امش خلف الأسد والأسود ، ولا تمش خلف امرأة .

● وقال الفضيل : يقول ابليس ، هو قوسى القديمة ، وسهمى الذى لا اخطىء به . يعنى النظر .

●● فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، واحذر النظر الى النساء

والاختلاط بهن سواء كان هذا فى الطريق أو فى أى مكان آخر ، حتى لا تهلك .

واذا أردت ان تمتع ناظريك وتأخذ ثوابا على هذا : فانظر الى ما احل الله لك ــ كالزوجة مثلا ــ فهى خير متاع ، كما يشير حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه :

(الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة) .

رواه مسلم والنسائى .

اما غيرها من المحارم ، فهى الشر المستطير ، ففى الحديث الشريف :

(لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط(١) من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له) .

رواه الطبرانى والبيهقى ورجاله رجال الصحيح .

● و **(.. انظر الى السماء وارتفاعها ، والأرض واقطارها ، والبحار وأمواجها والأوقات واتيانها ، والفصول وأزمانها ، وانظر الى ما غاب وما حضر ، وما خفى وما ظهر ، وانظر الى المستيقظ والراقد والراكع والساجد ...)** من حديث قدسى .

● و :

تأمل سطور الكائنـــات فانهـــا
من المـــلأ الأعلى اليـــك رســـائل

وقد خط فيها ــ لو قرأت ــ سطورها
الا كل شىء ما خـــلا الله باطل

---

(١) كالابرة والمسلة .

● و :

تأمل فى نبـــات الأرض وانظـــر
الى آثار ما صــــــنع المليـــك
غصون من لجــين شـــاخصات
بأبصـــــار هى الذهب الســـبيك
على قضب الزبرجـــد شـــاهدات
بأن الله ليس لـــــه شـــــريك

● و :

تأمل فى الوجود بعين فـــــكر
ترى الدنيا الدنية كالخيــــــال
وكل من عليهــا ســـــوف يفنى
ويبقى وجـــه ربك ذى الجـــلال

● و :

شرد النــــوم عن جفونك وانظــر
حكمة توقظ النفــــوس النيــاما
فحــرام على امرىء لم يشـــاهد
حــكمة الله أن يذوق المنـــــاما

● و :

تبصـــر الى حيث كان لك التبصـــر
وفى ذات الالـــــه دع التفـــــكر
وأن تـــرد المهيمـــن حـــين تذكـــر
تأمل فى نبـــات الأرض وانظـــــر
الى آثار ما صـــنع المليك
فأنـــوار المهيمـــن ســــاطعات
وأفـــكار الخـــلائق حـــائرات

ولـــكن الادلــــة واضحــــات
أصــول من لجــين(١) زهــرات
على اغصـــــانها ذهب ســبيك
شـــموس فى البـــرية مشرقات
نجـــــوم فى الدياجى لامعـــات
بطول الدهر دومـــا ســـابحات
الى ما لســـــت أدرى طائرات
يطـــير بهـــا الجــرم السميك
رياض مونقـــات منعشـــات
والوان لعينــــك مدهشـــات
واغصـــان تسـرك ناضــرات
على قضيب الزبرجـد شـــاهدات
بان الله ليس له شـــــريك

وحسبك يا اخى اذا اردت ان تكون من اولى الألبـــاب : **(... الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض)** ثم يقولون : **(ربنا ما خلقت هذا باطــلا سبحانك فقنا عذاب النار)** . آل عمران : الآية ١٩١ .

حسبك : أن تتأمل فى أصغر مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى ، وليكن هو النملة التى بهرت على ابن أبى طالب رضى الله عنه بنظامها ، ودقتها ، وكفاحها ، وصبرها ، فقال :

● **(انظروا الى النملة فى صغر حجمها ولطافة هيئتهـــا ، لا تكاد تنال بلحظ البصر ، ولا بمستدرك الفكر ، كيف دبت على أرضها ، وحنت على رزقها تنقل الحبة الى جحرها ، وتعـدها فى مستقرها . تجمع فى حرها لبردها ، وفى ورودها لصدرها ، مكفولة**

---

(١) اى الفضة .

برزقها ، مرزوقة بوقفها ، لا يغفلها المنان ، ولا يحرمها الديان ولو في الصفا(١) اليابس والحجر الجامس(٢) لو فكرت في مجاري أكلها ، في علوها وسفلها ، وما في الجوف من شراسيف(٣) بطنها ، وما في الرأس من عينها وأذنها ، لقضيت من خلقها عجبا ، ولقيت من وصفها تعبا ، فتعالى الذى أقامها على قوائمها ، وبناها على دعائمها ، لم يشركه في فطرته فاطر ، ولم يعنه في خلقها قادر) .

نعم : حسبك أن تتأمل في تلك النملة الدقيقة الصنع ، وتذكر ما كان منها يوم أن شعرت بسليمان وجنوده على بعد ثلاثة أميال من وادى النمل ، ثم قالت :

● **(يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سـليمان وجنوده وهم لا يشعرون)** النمل : الآية ١٨ .

قال العلماء : هذا القول ، اشتمل على أحد عشر نوعا من البلاغة .

أولها : النداء بيا ، ثانيها : لفظ أى ، ثالثها : ها التنبيه ، رابعها : التسمية بقولها : النمل ، خامسها : الأمر بقولها : ادخلوا ، سادسها : التنصيص بقولها مساكنكم ، سابعها : التحذير بقولها : لا يحطمنكم ، ثامنها : التخصيص بقولها : سليمان ، تاسعها : التعميم بقولها : وجنوده ، عاشرها : الاشارة بقولها : وهم ، حادى عاشرها : العذر بقولها : لا يشعرون .

وكانت هذه النملة كما يقولون عرجاء ذات جناحين ، وهى من جملة الحيوانات العشرة التى تدخل الجنة ، وهى :

---

(١) الحجر الاملس .

(٢) اى الجامد .

(٣) جمع شرسوف ، وهو طرف الضلع المشرف على البطن .

- براق رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- وهدهد بلقيس .
- ونملة سليمان ، عليه السلام .
- وعجل ابراهيم ، عليه السلام .
- وكبش اسماعيل ، عليه السلام .
- وبقرة بنى اسرائيل .
- وحمار العزير ، عليه السلام .
- وكلب أهل الكهف .
- وناقة صالح ، عليه السلام .
- وحوت يونس ، عليه السلام .

وروى أن سليمان عليه السلام قال لهذه النملة — عندما ذهبت اليه لتشكره — لم حذرت النمل ، أخفت من ظلمى ، أما علمت انى نبى عدل ؟ فقالت له : اما سمعت قولى وهم لا يشعرون ، مع انى لم أرد حطم النفوس ، وانما أردت حطم القلوب خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت ويفتتن بالدنيا ويشتغلن بالنظر اليـك عن التسبيح والذكر .

- ثم بعد أن تكلمت مع سليمان — كما يقول الصاوى على الجلالين مضت مسرعة الى قومها ، فقالت : هل عندكم من شىء نهديه الى نبى الله ؟ قالوا : وما قدر ما نهدى له ، والله ما عندنا الا نبقة واحدة ، فقالت : حسنة ائتونى بها ، فأتوها بها ، فحملتها بفيهـا وانطلقت تجرها ، وأمر الله الريح فحملتها وأقبلت تشق الجن والانس والعلماء والأنبياء على البساط حتى وقفت بين يديه ووضعت تلك النبقة من فيها فى فيه ، وانشأت تقول :

الـــم ترنا نهدى الى الله مــــاله
وان كان عنه ذا غنى فهـــو قابله
ولو كان يهـــدى للجليل بقــدره
لأقصر عنه البحر يوما وســـاحله
ولكننـــا نهـــدى الى من نحبـــه
فيرضى بهـــا عنـــا ويشـــكر فاعله
ومـــا ذاك ألا من كريم فعـــاله
والا فمـــا فى ملكنـــا ما يشـــاكله

فقال لها : بارك الله فيكم فهم بتلك الدعوة اشكر خلق وأكثر خلق الله .

● ثم يقول الصاوى رحمه لله : والنمل حيوان معروف شـ الاحساس والشم حتى انه يشم الشىء من بعيد ، ويدخر قوتـ ومن شدة ادراكه انه يفلق الحبة فلقتين خوفا من الانبات ، ويـ حبة الكريزة أربع فلقات لأنها اذا فلقت فلقتين نبتت .

ويأكل فى عامه نصف ما جمع ، ويستبقى باقيه عدة .

● ويقول آخر (١) فى حديثه أيضا عن النملة :

ان لها مع اخوانها بيوتا تحت الأرض ، تعج بالأعمال والعمـ وتزرع وتحصد ، وترعى بعض الحشرات لتربيتها وتكثيرها !

انها تخزن فى الصيف ، ما تحتاج اليه فى الشتاء ، وتنتـ طلوع الشمس فتعرض ما خزنته للحرارة : فهل ادركت ان الرطـ تفسده ، فعرضته للشمس ؟ وتخـــرق الحب حتى لا تنبت ما لامسته الرطوبة ، فمن الهمها ذلك ؟

---

(١) وهو الاستاذ عبد الجواد رجب ، فى كتابه : مع الله .

النملة عين واذن وبطن ورأس وقوائم وخلايا عديدة ، فكيف تكونت بهذه الدقة المتناهية والبراعة الفائقة ؟! انها على صغرها تأتى من الأعمال والصبر والكفاح فى سبيل الوصول الى غرضها ما يضرب به المثل ، ويحير أذكى الأذكياء .

ويكفى فى صبرها وكفاحها ما يقوله عنها القائد (تيمور لنك) المغولى : **(علمتنى الثبات فى مواقف الصعوبات) !** .

أجل ! فقد هزم فى معركة يئس منها بعد كفاح مرير عنيف . وبينما هو جالس يفكر فى المصير المظلم ، رأى على مقربة منه نملة تحمل عبئا ثقيلا ، وتحاول الصعود على شجرة ، وهى تبذل فى ذلك الجهد الجهيد ، وكلما ارتفعت جزءا من الجزع سقطت ، وتحاول وتحاول الكرة بعد الكرة ، وفى المرة العاشرة وصلت بحملها الثقيل سالمة الى هدفها المنشود .

وكان درسا قيما (لتيمور لنك) فعاد وجمع فلول جيشه ، وحارب الأعداء وكسب المعركة ..

●● فهذه جولة صغيرة حول نملة ، فما بالك لو درنا دورة مثلها نحو نحلة ، أو حول مخلوق من تلك المخلوقات الضخمة ..

● أو حول قول الله تعالى فى سورة عبس :

فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا
الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا
وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾

● أو حول قوله تعالى فى سورة الطارق :

فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾
خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ
رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾

● أو حول قوله تعالى فى سورة الغاشية :

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ
خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾
وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾

●● ان الكتاب اذن لن يتسع لشرح كل هذا ، ولهــــذا : فحسبك ان تتأمل فى نفسك حتى تشغل عن كل هـــــذه النظرات الخبيثة ، حسبك : ان تفكر فى جارحة واحدة من جوارحك ، ولتكن هى :

العـــين

وهى كما يقول أيضا صاحب كتاب مع الله .. تحت عنوان ، (**الكاميرا**) الربانية .

هذه اللؤلؤة المكنونة ، والدرة المصونة ، فى علبة رقيقة ثمينة من جفنين وهدب ورمشين تحفظها من الغبار ، وتذود عنهـا الشمس !!

هذه (الكاميرا) الربانية التى دونها : (كاميرات) المصورين جميعا اذ تستقبل من المناظر والمشاهد الملايين والملايين ، وكيف لا تفوقها جميعا وهى من صنع المصور الأعظم ؟ !

من جعل ماءها المطهر لها ملحا ، بينما جعل ماء الأذن مرا ، وماء الأنف حامضا ؟ !

من نوع ذلك وهو فى الأصل واحد أيها الطبيعيون ؟!

ان العين تستقبل المنظور معكوسا ، يحوله عصبها الى المخ بأمانة معكوسا أيضا ، وبسرعة عجيبة ، يأتى دور المخ القائد ، فيعيده الى وضعه الطبيعى فتراه العين طبيعيا .

فهل حدث أن رأت العين مرة واحدة منظورا مقلوب الوضع او منحرفا ، لم يحدث ذلك ، ولن يحدث ، ولم ذلك ؟ لأن المنعم الذى تفضل واعطى ذو قدرة قادرة ، وحكمة باهرة !!

لو أعطيت مليونا من الجنيهات أو أكثر ثمنا لتلك الجوهرة ، الا تبخل بها مع ارتفاع السعر ارتفاعا خياليا ؟!

وسبحانه من تلهج النفوس له ثناء وتقديسا ، وتعنو الوجوه له تعظيما وتمجيدا :

تا الله لو سـجدنا بالعيـون لـه
على شبا(١) الشوك والمحمى من الابر
لم تبلغ العشر من معشار نعمته
ولا العشـر ولا جزءا من العشر

* * *

فيـا عجبـا : كيف يعصى الالـه
وكيف يجحـده الجـاحد !

---

(١) شبا الشوك : اطرافه .

وفى كل شىء لـــــه آيـــــة
تدل على أنـــه الواحــــد !
اذا مـــا تدبرت آيـــــاته
فأنت ـ هـو العـابد الساجد !
وامـا تشـــاهد نعمـــاءه
فأنت هو الوالـــه الواجـــد !

●● وفى نهاية هذا العرض السريع لأهم عناصر هذا الحق الأول من حقوق الطريق الذى ركزت عليه ـ كما رأيت ـ فى ثلثى الكتاب لأهميته :

أرى من الخير لى ولك : أن أذكرك بوصية عظيمة من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيها لأبى ذر رضى الله عنه :

● **(انظر الى من هو تحتك ولا تنظر الى من هو فوقك ، فانه أجدر أن لا تزدرى نعمة الله عليك)** .

من حديث رواه ابن حبان فى صحيحه ، والحاكم ، وقال صحيح الاسناد .

واذا أردت أن أوضح لك بعض أبعاد هـذه الوصية التى تحتوى على أسباب السعادة فى الدارين :

فحسبى أن أقول لك :

ان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصينا جميعا بالرضى بما قسم الله سبحانه وتعالى لنا حتى نكون من الأغنياء حقا ، وقد ورد فى هذا عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال :

● **(ليس الغنى عن كثرة العرض(١) ، ولكن الغنى غنى النفس)** رواه البخارى ومسلم ، وأبو داود والترمذى والنسائى

---

(١) أى حطام الدنيا .

وقال صلى الله عليه وسلم :

● **(قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافا ، وقنعه الله بما آتاه) .**

رواه مسلم والترمذى وغيرهما .

وقال صلى الله عليه وسلم :

● **(طوبى لمن هدى للاسلام ، وكان عيشه كفافا وقنع) .**

رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

وخلاصة هذا أنك اذا نظرت الى من هو تحتك فى الرزق ستشعر بالنعمة التى أنت فيها ، لأنك سترى أنك أغنى من الذى يقل عنك مالا .

أما اذا نظرت الى من فوقك فى الرزق فانك ستحتقر نعمة الله عليك ، وستكون بسبب ذلك مهموما ومحزونا ..

ومهما أعطاك الله تعالى من المال ، لأنك بهذا ستصاب بداء الطمع الذى هو الفقر الحاضر ، كما يشير حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه :

● سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل ، فقال يا رسول الله : أوصنى وأوجز ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

(عليك باليأس مما فى أيدى الناس ، واياك والطمع فانه فقر حاضر ، واياك وما يعتذر منه) .

رواه الحاكم والبيهقى فى كتاب الزهد واللفظ له ، وقال الحاكم صحيح الاسناد .

●● واذا كنت من هواة النظر الى أعلى فانظر الى من فوقك فى العلم ، فهذا خير عظيم سترتفع به الى أعلى المراتب .

● قال ابن دريد :

العلم مبلغ قـــــوم ذروة الشرف
وصاحب العـــــلم محفوظ من التلف

يا صاحب العـــــلم مهلا لا تدنسه
بالموبقـــــات فما للعـــلم من خلف

العـــــلم يرفع بيتـــا لا عماد لـــه
والجهـــل يهدم بيت المجـــد والشرف

* * *

وكفى بالعلم شرفا وفخرا ان الله تعالى وصف به نفسه ومنح به انبياءه ، وخص به اولياءه ، وجعله وسيلة الى معرفته وسببا الى الحياة الأبدية والنجاة من الشــــــقاوة السرمدية . والفوز بالسعادتين (**الدنيوية والأخروية**) وجعل العلماء تلو ملائكته فى الاقرار بربوبيته والاختصاص بمعرفته وورثة الأنبياء .

فالعلم اشرف ما ورث عن أشرف موروث وكفاك دليلا على شرفه قوله تعالى :

● (.. **انما يخشى الله من عباده العلماء ..**) .

فاطر : الآية ٢٨ .

● (**وما يعقلها الا العالمون**) . العنكبوت : الآية ٤٣ .

● (.. **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمـــــون**) . الزمر : الآية ٩ .

وحتى تعرف قيمة العلم وأهميته فحسبك أن تقرأ معى كذلك هذه النصوص الموضوعية :

● قال على رضى الله عنه :

(العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تفنيه النفقة ، والعلم يزكو على الانفاق . العلم يكسب صاحبه الطاعة لربه فى حياته ، وجميل الأحدوثة بعد وفاته . ومنفعة المال تزول بزواله . العلم حاكم والمال محكوم عليه . مات خزان المال وهم أحياء . والعلماء باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم فى القلوب موجودة) .

● ومن كلام أفلاطون :

(اطلب العلم تعظمك الخاصة ، واطلب الزهد يعظمك الجميع . والعلم كل أحد يؤثره ، والجهل ضده وكل أحد يكرهه وينفر منه) .

● وجاء عن عبد الملك بن مروان لبنيه :

يا بنى تعلموا العلم ، فان كنتم سادة فقتم ، وان كنتم وسطا سدتم ، وان كنتم عامة عشتم .

● وقال أبو الأسود الدؤلى :

العــــلم زين وتشريف لصاحبه
فاطلب هديت فنون العــلم والأدبا
ومقــــرف خامل الابــاء ذى أدب
كانوا الرؤوس فأمسى بعضهم ذنبا
كم ســـيد بطـــل آباؤه نجب
نال المعـــالى بالآداب والرتبـا
العـــلم كنز وذخر لا فنــاء له
نعــم القرين اذا ما صاحب صحبا

قد يجمع المـــال شخص ثم يحرمـــه
عمـــــا قليل فيلقى الذل والحـــربا
وجامع العـــلم مغبوط بـــه أبـــدا
ولا يحـــــاذر منه الفوت والسلبا
يا جامع العـــــلم نعم الذخر تجمعه
لا تعـــــدلن به دارا ولا ذهبـــــا

● وقال بعضهم : ان العلم قبس من نور الله ، وقد خلق الله النور كشافا مبصرا ولادا للحرارة والقوة وجعل العلم مثله وضاحا للخير ، فضاحا الشر ، يولد فى النفوس حرارة وفى الرءوس شهامة .

● وقال الامام الشافعى رضى الله عنه :

ليس بعد الفرائض افضل من طلب العلم فهو نور يهتدى به الحائر

●● فاذكر كل هذا أخا الاسلام واطلب العلم من المهـــــد الى اللحد وحسبك قول الله تعالى لأعلم خلقه صلوات الله وسلامه عليـــه :

● (.. **وقل رب زدنى علما**) . طه : الآية ١١٤ .

وقوله تعالى لجميع خلقه :

● (**وما أوتيتم من العـــــلم الا قليلا**) .

الاسراء : الآية ٨٥ .

كَفُّ الأَذَى

●● واذا كنت أخا الاسلام سأدور معك ــ كذلك ــ حول هذا العنصر الثانى ، من حق الطريق أو حقوقه ، وهو :

كف الأذى

فحسبى اولا ان أذكرك بموضوع حيوى يرتبط ارتباطا وثيقا بهذا العنصر الهام ، الا وهو :

الحيـــــاء

بدليل الحديث الشريف المتفق عليه الذى يقول فيه أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

● **(الايمان بضع وسبعون ، أو بضع(1) وستون شعبة : فافضلها قول لا اله الا الله ، وادناها اماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان) .**

فالحياء كما هو واضح فى هذا الحديث الصحيح : أهم شعبة من شعب الايمان ، ولهذا ، كان هو الخير كله ، أو هو كل الخير ، كما ورد فى الحديث الشريف الذى رواه مسلم ، والذى يقول فيه صلوات الله وسلامه عليه :

● **(الحياء خير كله) .**

وحسبك أن تعلم أن الحياء هو خلق الاسلام ، ففى الحديث الشريف الذى رواه مالك يقول صلوات الله وسلامه عليه :

● **(ان لكل دين خلقا ، وخلق الاسلام الحياء) .**

---

(1) البضع بكسر الباء ، ويجوز فتحها : وهو من الثلاثة الى العشرة ، والشعبة : القطعة والخصلة . والاماطة : الازالة . والاذى : ما يؤذى ، كحجر وشوك وطين ورماد وقذر ونحو ذلك .

●● وحتى تعرف اهمية الحياء ، وتدرك كذلك ضرورته ، اليك هذه الأحاديث الشريفة :

● عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال : **(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم — اشد حياء من العذراء فى خدرها ، وكان اذا رأى شيئا يكرهه عرفناه فى وجهه) .**

رواه مسلم .

● وعن انس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(ما كان الفحش فى شىء الا شانه ، وما كان الحياء فى شىء الا زانه)** رواه ابن ماجة ، والترمذى ، وقال : حديث حسن غريب .

● وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عايه وسلم :

(الحياء والايمان قرناء جميعا ، فاذا رفع أحدهما رفع الآخر).

رواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ورواه الطبرانى فى الأوسط .

● وعن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(الحياء لا يأتى الا بخير)** رواه البخارى ومسلم

● وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(الحياء من الايمان ، والايمان فى الجنة ، والبذاء**(١) **من الجفاء ، والجفاء فى النار)** رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح ، والترمذى وابن حبان فى صحيحه ، وقال الترمذى حديث : حسن صحيح .

---

(١) البذاء : هو الفحش فى الكلام .

● وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قـــال :
(مكارم الأخلاق عشرة : تكون فى الرجل ولا تكون فى ابنه ، وتكون فى الابن ولا تكون فى أبيه ، وتكون فى العبد ولا تكون فى ســـيده يقسمها الله لمن شاء من عباده :

صدق الحديث ، وصدق البأس ، وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان واعطاء السائل ، والمواساة بالنـــــائل ، والمكافأة بالصنائع(٢) ، وحفظ الأمانة ، وصلة الرحم ، والتذمم(٣) للجار ، وقرى(٤) الضيف ، ورأسهن الحياء) .

●● وكذلك اليك هذه الآثار التى قرأتها فى كتاب (أدب الدنيا والدين) لأبى الحسن البصرى رحمه الله :

● قال بعض الحكماء : من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبـــه .

● وقال بعض البلغاء : حياة الوجه بحيائه كما أن حيـــاة الغرس بمائه .

● وقال صالح بن عبد القدوس :

اذا قل ماء الوجه قـــل حياؤه
ولا خير فى وجه قـــد قل مـــاؤه
حيـــاءك فاحفظه عليك وانمـــا
يدل على فعـــل الكريم حيــــاؤه

● وقال الرياشى : يقال أن أبا بكر الصديق رضى الله عنـــه كان يتمثل بهذا الشعر :

---

(١) الصنائع : جمع صنيعة . بمعنى المعروف .

(٢) أى رعاية حرمته .

(٣) قرى الضيف : اى اكرامه .

وحاجه دون آخرى قد سنحت لها
جعلتهـــا للتى اخفيت عنـــوانا
واننى لأرى من لا حيـــاء لــه
ولا أمانة وســـط ا لقـــوم عريانا

● وقال حكيم آخــر :

ورب قبيحـــة ما حـــال بينى
وبين ركوبهـــا الا الحيــــاء
اذا رزق الفتى وجها وقاحـــــا
تلقب فى الأمور كما يشـــاء

● وقال بعض الشعراء :

وانى ليثنينى عن الجهل والخنـــا
وعن شتم ذى القـــربى خلائق أربـع
حيـــاء واســـلام وتقوى واننى
كريم ومثلى من يضر وينفـــع

●● ومن اجل ذلك كان الأساس فى كف الأذى ، هو الحياء .

ولهذا فقد ورد عن أبى مسعود بن عقبة بن عمرو الأنصارى البرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الأولى ، اذا لم تستح فاصنع ماشئت) .

رواه البخـــارى .

ففى هذا الحديث اعلام بأن الحياء من قضايا النبوة المجمع عليها .

وقد قال أحد العلماء الاعلام فى شرحه : معناه ، اذا أردت

فعل شيء فان كان مما لا يستحي من الله في فعله فافعله والا فلا . أ هـ .

فصيغة الأمر للاباحة ، ويحتمل انها للتهديد على حد قول بعضهم :

اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا
وتستح مخلوقا فما شئت فاصنع

وفي كتاب (ادب الدنيا والدين) يقول بعد ذكر هذا الحديث :
وليس هذا القول اغراء بفعل المعاصي عند قلة الحياء كما توهمه بعض من جهل معاني الكلام ، ومواضعات الخطاب .

وفي مثل هذا الخبر قول الشاعر :

اذا لم تخش عاقبة الليالي
ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير
ولا الدنيا اذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير
ويبقى العود ما بقي اللحاء(١)

ثم يقول : واختلف أهل العلم في معنى هذا الخبر ، فقال أبو بكر بن محمد الساسي في أصول الفقه معنى هذا الحديث ان من لم يستحي دعاه ترك الحياء الى أن يعمل ما يشاء لا يردعه عنه رادع ، فليستحي المرء فان الحياء يردعه .

ويقول : وسمعت من يحكى عن أبي بكر الرازي من أصحاب أبي حنيفة أن المعنى فيه : اذا عرضت عليك أفعالك التي هممت بفعلها فلم تستحي منها لحسنها وجمالها فاصنع ما شئت منها : فجعل الحياء حكما على أفعاله ، وكلا القولين حسن والأول أشبه

---

(١) اللحاء : اى قشرة العود .

لأن الكلام خرج من النبى صلى الله عليه وسلم مخرج الذم لا مخرج الأمر ، لكن قد جاء الحديث بما يضاهى القول الثانى ، وهو قول النبى صلى الله عليه وسلم : (ما أحببت أن تسمعه اذناك فاته ، وما كرهت أن تسمعه اذناك فاجتنبه) .

ويجوز أن يحمل هذا الحديث على المعنى الصريح فيه ويكون التأويل الأول فى الحديث المتقدم اصح : اذ ليس يلزم أن تكون احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها متفقة المعانى ، بل اختلاف معانيها ادخل فى الحكمة وأبلغ فى الفصاحة اذا لم يضاد بعضها بعضا .

●● ثم يقول : واعلم أن الحياء فى الانسان قد يكون من ثلاثة أوجه :

أحدهما حياؤه من الله تعالى ،
والثانى : حياؤه من الناس ،
والثالث : حياؤه من نفسه .

● فأما حياؤه من الله تعالى : فيكون بامتثال أوامره والكف عن زواجره . ففى الحديث الذى روى عن ابن مسعود رضى الله عنه يقول صلوات الله وسلامه عليه : **(استحيوا من الله عز وجل حق الحياء ، فقيل يا رسول الله : فكيف نستحى من الله حق الحياء ؟ قال : من حفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى وترك زينة الحياة الدنيا ، وذكر الموت والبلى : فقد استحيا من الله عز وجل حق الحياء)** .

● وأما حياؤه من الناس : فيكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح ، ففى الحديث روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : **(من تقوى الله اتقاء الناس)** . وروى أن حذيفة بن اليمان أتى الجمعة فوجد الناس قد انصرفوا فتنكب الطريق عن الناس وقال : لا خير فيمن لا يستحى من الناس .

وقال بشار بن برد :

ولقـــــد أصرف الفؤاد عن الشى
ء حيـــاء وحبـــه فى الســـــــواد
أمســـك النفس بالعفـــــاف وأمسى
ذاكـــرا فى غد حـــديث الأعـــادى

● وأما حياؤه من نفسه : فيكون بالعفة وصيانة الخلوات. قال بعض الحكماء ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك . وقال بعض الأدباء : من عمل فى السر عملا يستحى منه فى العلانية فليس لنفسه عنده قـــدر .

ودعا قوم رجلا كان يألف عشرتهم فلم يجبهم وقال : انى دخلت البارحة فى الأربعين وأنا أستحى من سنى .

وقال بعض الشعراء :

فسرى كاعـــــــــلانى وتلك خليقتى
وظلمة ليـــــلى مثل ضـــوء نهاريا

فهذا النوع من الحياء قد يكون من فضـــــــيلة النفس وحسن السريرة ، فمتى كمل حياء الانسان من وجوهه الثلاثة فقد كملت فيه أسباب الشر ، وصار بالفضل مشهورا ، وبالجميل مذكورا .

●● وعلى هذا الأساس ، فاننا نستطيع الآن وبعد هذا التقديم عن الحياء : أن نتحدث عن الأمراض الأخلاقية التى تحدث فى الطرقات ، والتى ما كانت الا لحرمان هؤلاء المبتلين بها من الحيـــــاء .

وقبل أن ابدأ فى استعراض بعض هذه الأمراض الأخلاقيـــة والتعليق عليها : أحب أولا أن أوضح المعنى المراد من كلمـــة (حيـــاء) ، لأننا قد نحتاج الى معرفة هذه المعانى فى محـــــاولة الوصول الى معالجة لهذه الأمراض ، فأقول :

● الحيـــاء بالمـــد ، خلق يبعث على ترك القبيح ، وفعل المليح ، ينشأ من علم القلب بأن الله رقيب عليه فيحفظ ظاهره وباطنه، من مخالفة الأحكام ، ويستقبح ما صدر من الهفوات التى تباعد عن دار السلام .

● وفى رياض الصالحين يقول : قال العلماء : حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ومنع التقصير فى حق ذى الحق .

● ويقول : وروينا عن أبى القاسم الجنيد رحمه الله قال : الحياء رؤية الآلاء اى النعم ، ورؤية التقصير ، فيتولد بينهما حالة تسمى حياء ، والله أعلم .

●● فالحياء اذن كما رايت : خلق كريم : يجعل المتخلق به محمودا لا مذموما .

ونستطيع أن نقول الآن :

● انه ليس من الحياء الآن — وبعد الآن — : ان نرى أحد هؤلاء الذين لا اخلاق لهم ، وقد جلس أمام مقهى ، أو حانوت واضعا ساقه على الأخرى ، وهو يرفع صوته بتلك الألفاظ الرخيصة ، والتعليقات النابية التى يغازل بها كل فتاة او سيدة تمر امامه ، دون خجل او خوف من الله .

وحسب هذا العابث المستهتر ان يعلم انه بهـــذا التصرف الرخيص يؤكد انه ليس رجلا بالمعنى الصحيح ، لأنه لو كان رجلا بهذا المعنى المشار اليه ، لعلم أن الرجولة تحتم عليه أن يحترم غيره من الناس ، وان لا يكون مؤذيا لبناتهم وزوجاتهم بتلك التعليقـــات المؤسفة .

وحسبه كذلك أن يقرأ هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم :

قال : **(ما من شيء اثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وان الله يبغض الفاحش البذيء) .**

رواه الترمذي وقال : حديث صحيح .

والبذيء : هو الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام .

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم ، فقال : **(البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس) .**
رواه مسلم .

وعن ابي ذر جندب بن جنادة وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) .

رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

وروى الترمذي عن عبد الله بن المبارك رحمه الله في تفسير حسن الخلق ، قال ، هو :

طلاقة الوجه ، وبذل المعروف ، وكف الأذى .

● وليس من الحياء : أن نرى رقيعا آخر يضيق على فتاة أو سيدة في عرض الطريق أو في ركن من أركانه ، دون مراعاة لنظرات المارة اليه .

ولولا خشيته من رجال الشرطة ، أو من بعض المارة الذين قد تثور ثائرتهم ان استغاثت الفتاة : **لافترسها كما يفترس الذئب الشاة .**

وقد حدث ذات يوم ، وانا اخترق طريقا — من باب اللوق الى ميدان التحرير — في منتصف النهار : أن رايت ذئبا من هؤلاء

الذئاب يضيق على فتاة بصورة جعلتها تستغيث ، فما كان
أن أسرعت الخطى ، وكلى ثورة ايمانية ، وأمسكت بتلابيـ
الرقيع ، وأنا أقسم اننى لابد أن أسوقه الى **(الشرطة)** فـ
بعد أن كان يتظاهر بأنه (**شمشون**) يبدو أمامى وامام المار
تجمعوا وكأنه فأر صغير .

ومن المؤسف أن بعض المارة بالاضافة الى اقاربه من
الحى ، قد استطاعوا أن يخلصوه من يدى بعد أن تعهدوا
وبعد أن صفعته على وجهه .

ولا اكون — مزكيا لنفسى — ان قلت اننى قد لقنتهم
درسا فى الأخلاق ، خلاصته أن رقيعا كهذا خطر علينا جميعـ
بناتنا ونسائنا ، وانه ليس من الدين ان نسمح بمثل هذا ا
الأخلاقى وذكرتهم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(اذا فشى فيكم المنكر ولم تغيروه ، يوشك ان يعم الله الكل بـ

فما كان من أحدهم أن قاطعنى قائلا :

انا معك فى كل ما قلته ، وفى موقفك الرجولى هذا
هناك ملاحظة هامة ، لابد وأن نعترف جميعا بها ، وهى
لولا خروج الفتاة أو السيدة بهذه الصورة الملفتة للأنظار
لغريزة مثل هذا الشاب الذى هو شعلة من الجنون : لما
الشاب تصرفا مشينا كهذا .

فقلت له : وانا اضم رأيى الى رأيك واناشد الآباء و
واولياء الأمور أن يمنعوا بناتهم وزوجاتهم واخواتهم من الـ
الى الطريق العام بهذه الصورة المخالفة لآداب الاسلام ، و
على حدود الشرع : والا فان النتيجة قد تكون سيئة للغاية
تدفع الفتاة أو السيدة أو الأخت ثمنا لهذا السفور أغلى شىء
وهو شرفها ، وكرامتها ، بل وكرامة أهلها وعشيرتها . وقد

بسبب لك أبشع الجرائم التى نقرأ عنها يوميا فى جرائدنا وجرائد مجاورينا .

وكل هذا بسبب اهمال الرعاة فى أداء مهمتهم كما يجب عليهم . فقد ورد فى الحديث الشريف :

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع ومسئول عن رعيته ، والمراة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، فكلكم راع ومسئول عن رعيته**) . متفق عليه .

ويجب على الزوج ــ بصفة خاصة ــ : أن يكون غيورا ليحمى زوجته من الدنس ، ويوجهها الى ما يحفظ عليها شرفها وشرفه . فقد تكون المرأة فى ذاتها فاضلة شريفة أمينة ، وباهمال الزوج تتجرأ على الخنا ، والنساء ــ كما ورد ــ ناقصات عقل ودين .

وان صح الحديث الذى ورد فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لابنته الزهراء رضى الله عنها : اى شىء خير للمرأة ؟ فقالت : أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل .

ان صح هذا الحديث ففيه الكفاية .

وحتى تحافظ المرأة المسلمة على شرفها وتحمى نفسها وشرفها من الذئاب البشرية .

لابد أن نلاحظ أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الوشم، ونتف الوجه ودهانه وتفليج الاسنان وتسويتها ، وتحديدها ووصل الشعر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**لعن الله الواشمات**

والمستوشمات ، والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى) متفق عليه .

ولعن النبى صلى الله عليه وسلم : **(الواصلة والمستوصلة)** متفق عليه .

ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(الواشـــــرة)** رواه أحمد .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم : يلعن القاشرة والمقشورة .

المعـــــانى :

المتنمصات : ناتفات الشعر من الوجه .

المتفلجات : من يحدثن فواصل بين الاسنان .

المستوصلة : من تزيد شعرا فى شعرها (كالباروكة الآن) .

المقشورة : من تدهن وجهها بالكريم ومثله .

وبالقياس شرعا وعقلا : يحرم على المرأة الأصباغ كأحمر الوجه ، و (دهان الأصابع) وعمليات التجميل لانها تغيير لخلق الله تبارك وتعالى ، واسراف فى الزينة ، وغش وخداع وتضليل .

فالمرأة التى تصبغ شفتيها وكأنها ملوثة بالدم لا يرتاح الى منظرها سليم الذوق .

وقد ثبت طبيا ضرر الكريم والأصباغ ببشرة المرأة ، فانهـــا تعمل على ترهلها ، فلا ينفرد الجلد الا بها ، كما ثبت ضررها على الصحة حتى الجنين فى بطن أمه .

والزينة المقبولة شرعا وذوقا هى : نظافة الجسم والملابس ، والتطيب بالروائح الذكية ، ودهان الشعر بالزيوت النقية ، وارتداء زاهر الثياب كالحرير وغيره ، والتحلى بالمجوهرات :

ما دامت فى بيت الزوجية .

اما أن تخرج متعطرة الى الطريق بتلك الصـــــورة المحركة للغريزة الجنسية :

فهذا : ايذاء من جانبها للشباب ــ بصفة خاصــة ــ لابد من كفه .

وحسبها حتى تكف أذاها عن الناس عامة ، اذا ما خرجت الى الطريق هذا الحديث :

عن ابى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **(كل عين زانية ، والمرأة اذا استعطرت فمرت بالمجلس ، فهى كذا وكذا يعنى زانية(١)) .**

رواه ابو داود والترمذى . وقال : حسن صحيح .

● وليس من الحياء : أن نرى بعض الشباب يلعب الكرة فى عرض الطريق وفى وقت يحرص السكان فيه ــ غالبا ــ على الراحة، وهو وقت القيلولة وهم يلبسون الملابس القصيرة التى تكشف جزءا كبيرا من العورة(٢) .

فهذا اللعب فى وسط الطريق وبين مساكن المواطنين ، وعلى مرأى ومسمع من السيدات والفتيات اللاتى يخشى عليهن من النظر الى هؤلاء الشبان الذين يبذلون قصارى جهدهم امام الفتيــــات والسيدات الفاتا لأنظارهن :

ان هذا كذلك ــ فضلا عن ازعاج المرضى من السكان ــ يعتبر ايذاء كبيرا لابد وان نعمل على ازالته حتى يتحقق الهدوء والاستقرار المواطنين .

---

(١) اى آخذ فى أسباب الزنا .

(٢) وقد علمت قبل ذلك أن عورة الرجل من السرة الى ما تحت الركبة .

وان كان لابد من اللعب ، فعلى هؤلاء الشباب أن يذهبوا الى الملاعب المخصصة لهذا اللعب الذى ليس حراما ، ما دام بعيدا عن ايذاء الناس ، وفى غير أوقات الصلاة ، وبدون تعصب لفريق ضد فريق .

وهناك الوان كثيرة من اللهو ، وفنون من اللعب شرعها النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين ترفيها عنهم ، وترويحا لهم ، وحتى تهيىء نفوسهم للاقبال على العبادات والواجبات الأخرى ، اكثر نشاطا واشد عزيمة . وهى مع ذلك فى كثير منها رياضات تدربهم على معانى القوة ، وتعدهم لميادين الجهاد فى سبيل الله ، ومن ذلك(١) :

مسابقة العـــــدو(٢)

فقد ورد أن الصحابة عليهم جميعا رضـــــوان الله : كانوا يتسابقون على الأقدام ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقرهم على ذلك .

وقد رووا أن عليا كرم الله وجهه كان عداء سريع العدو .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم نفسه كما ورد : يسابق زوجته عائشة رضى الله عنها مباسطة لها ، وتطييبا لنفسها ، وتعليما لأصحابه .

قالت عائشة رضى الله عنها : سابقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته ، فلبثت حتى اذا أرهقتنى اللحم (**اى سمنت**) سابقنى فسبقنى فقال : **(هذه بتلك)**(٣) .

رواه أحمد وأبو داود .

---

(١) كما فى كتاب ((الحلال والحرام فى الاسلام)) بتصرف .

(٢) أى الجرى على الاقدام .

(٣) يشير الى المرة الاولى .

وكذلك :

المصـــــارعة

فقد صارع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا معروفا بقــوته يسمى **(ركانة)** فصرعه النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة .

الضرب بالسهام(١)

فهو من فنون اللهو المشروعة :

وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يمر على أصحابه فى حلقات الرمى ، فيشجعهم ويقول : **(ارموا وأنا معكم)** .

رواه البخــــارى .

وكذلك :

اللعب بالحراب

فقد أذن النبى صلى الله عليه وسلم للحبشة ان يلعبوا بها فى مسجده الشريف .

وأذن لزوجته عائشة رضى الله عنها أن تنظر اليهم ، وهو يقول لهم : **(دونكم يابنى أرفدة)** : وهى كنية ينادى بها ابناء الحبشة عند العرب .

وايضـــــا :

ألعاب الفروسية

ففى الحديث الشريف يقول صلوات الله وسلامه عليـــه : **(ارموا واركبوا)** . رواه مسلم .

ويقول : **(كل شىء ليس من ذكر الله فهو لهو أو ســهو ،**

---

(١) اى التصويب بالسلاح .

الا اربع خصال : مشى الرجل بين الغرضين (الرمى) وتاديبه فرسه، وملاعبته أهله ، وتعليمه السباحة) .

رواه الطبرانى باسناد جيد .

وقال عمر رضى الله عنه : **(علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثبا) .**

وعن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم (سابق بين الخيل واعطى السابق) .

وكل هذا من النبى صلى الله عليه وسلم تشجيع على السباق واغراء به .

وكذلك :

الصـــــيد

فهو من اللهو النافع الذى اقره الاسلام بالاضافة الى انه متعة ورياضة واكتساب ، سواء أكان الصيد عن طريق الآلة كالنبال والرماح ، أو عن طريق الجوارح كالكلاب والصقور .

ولم يمنع الاسلام الصيد الا فى حالتين ، حالة المحرم بالحج والعمرة ، فانه فى مرحلة سلام كامل ، لا يقتل فيها ولا يسفك دما كما قال تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم) .

(وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) المائدة : ٩٥ ، ٩٦ .

والحالة الثانية : حالة الحرم فى مكة فقد جعلها الاســـــلام منطقة سلام وأمن لكل كائن ينتقل فى ارجائها ، أو يطير فى سمائها،

أو ينبت فى أرضها فهى كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لايصاد صيدها ، ولا يقطع شجرها ، ولا يختلى خلاها(١) .

●● واما عن لعب :

الميســـــر

وهو القمار الذى قرنه القرآن بالخمر فى قوله تعـــــالى : **(.. انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه)(٢) :**

فهو حرام ، وكذلك كل لعب فيه قمار ، وهو كل ما لا يخلو اللاعب فيه من ربح أو خسارة .

وفى الحــــــديث الشريف يقول صلى الله عليه وســـلم : **(من قال لصاحبه تعالى اقامرك فليتصدق) (١) .**

يعنى ان مجرد الدعوة الى المقامرة ذنب يوجب الكفـــــارة بالتصدق .

● ومن ذلك اللعب بالنرد (**الزهر**) اذا اقترن بقمار ، فهو حرام اتفاقا . وان لم يقترن به ، فقال قوم من العلماء : يحرم ، وقال بعضهم : يكره ولا يحرم وحجة المحرمين ما رواه بريدة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **(من لعب بالنرد شير فكانما صبغ يده فى لحم خنزير ودمه) .**

رواه مسلم واحمد وابو داود .

---

(١) متفق عليه .
(٢) المائدة : الآية ٩٠ .
(٣) متفق عليه .

وما رواه ابو موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **(من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله) .**

رواه أحمد وابو داود وابن ماجه ومالك فى الموطأ .

والحديثان صريحان عامان فى كل لاعب ، قامر أم لم يقامر ...

● ومنه اللعب بالشطرنج .

وقد اختلف الفقهاء فى حكمه بين الاباحة والكراهية والتحريم .

واحتج المحرمون بأحاديث رووها عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكن نقاد الحديث وخبراءه ردوها وأبطلوها ، وبينوا أن الشطرنج لم يظهر الا فى زمن الصحابة ، فكل ما ورد فيه من أحاديث باطلة .

أما الصحابة رضى الله عنهم فاختلفوا فى شأنه ، قال ابن عمر رضى الله عنهما : هو شر من النرد .

وقال على رضى الله عنه : هو من الميسر **(ولعله يقصد : اذا اختلط به القمار) .**

وروى عن بعضهم كراهيته فحسب .

وهناك من أباحه بشروط ثلاثة :

١ — أن لا تؤخر بسببه صلاة عن وقتها ، فان أكبر خطورته فى سرقة الأوقات .

٢ — الا يخالطه قمار .

٣ — أن يحفظ اللاعب لسانه حال اللعب من الفحش والخنا وردىء الكلام .

فاذا فرط فى هذه الثلاثة أو بعضها اتجه القول الى التحريم .

● وليس من الحياء : أن يرتفع صوت مذياع أو تسجيل بصورة مزعجة للمارة ـــ والسكان بصفة خاصة ـــ من داخل مقهى أو حانوت تجارى :

وقد قرأت فى جريدة أخبار اليوم ١٩٧٨/١٠/٢٦ : حكما بمصادرة راديو لاستخدامه بطريقة مزعجة جاء فى نصه :

قضت محكمة بولاق لأول مرة بمصادرة جهاز راديو وتغريم صاحبه ١٠ جنيهات لاستخدامه بطريقة مزعجة ومقلقة لراحة المواطنين ...

ففرحت جدا بهذا الحكم الذى كان نتيجة لتقدم الجيران المجاورين لصاحب هذا المذياع وهو بقال فى حى بولاق : ببلاغ الى الشرطة ضده بسبب استخدامه الجهاز بطريقة مزعجة ..

وقلت فى نفسى ليته تكون هناك أحكام كثيرة من هذا النوع حتى لا نرى ازعاجا كهذا الذى يشكل خطورة كبيرة على صحة المواطنين ، ويقلل من انتاج العاملين لأنه يتلف اعصابهم .

● واذا كنت أقول هذا بالنسبة لمذياع وما شابهه من آلات اللهو والطرب : فاننى أقول مثله بالنسبة للورش الصناعية التى تعمل طوال النهار والى منتصف الليل تقريبا ، دون انقطاع لأصوات المطارق التى كثيرا ما كانت سببا فى اتلاف الأعصاب .

هذا فضلا عن السيارات التى يصلحونها والتى تحتل مكانا كبيرا من جانبى الطريق بل جزءا كبيرا من الطريق نفسه .

وكنت أتصور كما قرأت عن بعض الدول الأوربية : أن تكون تلك المصانع والورش فى اماكن بعيدة عن مساكن المواطنين ، حتى لايكون هناك ازعاج أو أختناق بسبب الدخان الذى يملأ الجو من داخل تلك المصانع والورش .

وهذا وحده كما قرأت كذلك فى بعض الأبحاث الطبية يشكل خطورة كبيرة على صحة الانسان .

والوقاية كما يقولون خير من العلاج .

● ونستطيع ان نقول هذا أيضا بالنسبة لهؤلاء المدخنين الذين لا يكترثون باشمئزاز المارة منهم ، ولا سيما فى السيارات والقطارات والأماكن العامة .

ان هذا الدخان (**أو التبغ**) الذى يشربونه أضراره لا حصر لها.

وقد رأيت حتى يقلعوا عن تلك العادة القبيحة المؤذية لهم ولغيرهم ، أن أشير الى ما قرأته فى دائرة المعارف(1) ، للأستاذ فريد وجدى رحمه الله تحت عنوان (التبغ) ، ما نصه :

التبغ هو ما يسميه الناس الآن بالدخان وهى شجرة امريكية الأصل ولكنها تزرع الآن فى سائر بلاد أوربا ، فتبلغ من متر الى متر وستين سنتيمتراً ، وهى تنبت فى جميع البلاد المعتدلة ، ولكنها تنجب فى البلاد الحارة وتصل فى الطول فى نحو الخمسة أمثال وأوراقها المجففة تستعمل تدخينا ، ومضغا ، وسعوطا(2) .

هذه العادة من أضر العادات التى منى بها هذا الانسان الضعيف ، فقد زعم باحث فى مجلة المجلات الفرنسية : ان خسائر تعاطى هذه المادة يوازى خسائر الخمر على النوع البشرى وسيجىء لك ما يقف بك على مصداق هذا القول .

هذه العادة لم تكن موجودة فى العالم قبل اكتشاف أمريكا فى القرن الخامس عشر . وسبب سريانها فى أوربا هم النوتية الأسبانيون ، فانهم رأوا متوحشى امريكا يدخنون فقلدوهم ، وجاءوا

---

(1) المجلد الثانى ، طبعة ثانية ص ٥٢٦ .

(2) وهو النشوق .

بهذه العادة الى اوربا فانتشرت فيها ، ولما شخص كريستوف كولمب الى أمريكا بعث فى سنة ١٥١٥ الى اسبانيا يزور هذه الشجرة لتزرع بصفة نبات طبى كان يعزى له بعض الفوائد فى بعض الأمراض، ولم يتخيل انسان أن تدخين هذا النبات السام الذى من مركباته جوهر النيكوتين المهلك سيكون فى جيل من الأجيال من الشيوع والانتشار بحيث يكون نسبة باعة الخبز الى باعة التبغ كنسبة : ١ الى ١٠ ، وقد بحث العلماء كثيرا فى سبب شيوع هذه الآفة بين النوع الانسانى على ما فيها من ضرر فزعموا أن السبب فى ذلك هو الخدر الذى يحدثه فى المخ فيهدئه اذا كان مضطربا فينساق صاحبنا الى تعاطيه وهو غافل عما يحيق به من المعاطى الصحية التى لا تندفع بعلاج .

ثم يقول بعد ذلك :

أما مضاره المعروفة فكثيرة جدا ، منها : تكثير اللعاب جدا وفى كثرة استنزاف الدم والتهاب الشفتين وتعريضهما لداء السرطان، وتلف الأسنان ، والتهاب غشاء الفم والحنجرة ، واحداث اضطرابات هائلة فى أعصاب القلب ، والبصر ، والمعدة ، والرئتين ، وتعريض الجسم كله للشلل .

وقد نسب العلامة (**لوجران**) سبب تزايد الأمراض العقلية فى العالم الى التبغ ، وقد جرب الأطباء ذلك فى المصابين بالأمراض المخية الجنونية ، بمنعهم عن تعاطى التبغ فتوصلوا لنتائج عجيبة .

ومن الناس من أصيب بوساوس وأوهام وخواطر مقلقة حرمته الراحة والطمأنينة وكادت تؤديه الى الجنون : فترك التدخين بالتبغ فشفى تماما .

هذا : وأن محض النظر فى أمر التبغ من جهة نتائجه المضرة وجواهره الكيماوية المركبة التى منها النيكوتين الشديد الفعل كاف فى تكريه التدخين للانسان .

وقد حدثت حوادث من التبغ لا تترك للعارف بها شكا فى أن المدخن يعرض نفسه لأشد التلف ، وأن تلك السيجارة التى يقلبها بين اصبعيه أقل ما تستحق منه أن ينفض قذاها عن يديه ، وأن يدوسها بقدميه .

ومن الحوادث المريعة التى سجلها التاريخ على النيكوتين : أن بعض أصدقاء الشاعر مانتول اللاتينى المتوفى سنة ١٦٦٨ م القى تبغا فى نبيذه ، فلما شربه الشاعر واستقر فى جوفه أحدث لديه من الآلام ما لا يمكن التعبير عنه ، ثم فارق الحياة على الأثر صريع أقوى السموم وأخبثها هو النيكوتين .

وشوهد رجال وقعوا فى الخدر الشديد وماتوا على تلك الحالة لافراطهم فى استنشاق دخان كثيف من دخان التبغ بمناخرهم .

ومات ثلاثة أطفال مرة بعد تكبد آلام لا تطاق بسبب دهن امرأة مطببة لرءوسهم بمنقوع التبغ زعما منها أن ذلك يزيل عنهم قشور الرأس .

وشوهد أن مهربا حاول أن يهرب تبغا فلف مقدارا منه حول جسمه فتسمم جسده ومات بعد ما ذاق آلاما بليغة .

وللتبغ خاصة التسميم البطىء : يعرف ذلك مما يصاب به المغرمون به ، من الهزال والشحوب فى الوجه ، والسل الرئوى ووجع الدماغ ، والمغص ، والنزيف ، والقىء الخ ...

●● فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، ولا تعرض نفسك لهذا الهلاك المحقق بسبب التدخين ، وكذلك لا تؤذ غيرك به .

وحسبك أن وزارة الصحة كانت تحذرك على شاشة (**التليفزيون**) من التدخين .

بل وحسبك قول القائل :

وكم فى الدخان معـــايب ومكاره
دلت نتائجهــــــا على انــــكاره
عمت بليتــــــه البرية كلهـــا
حتى غــدا الجمهور تحت حصاره
وعيـــــوبه بين الأنــــام كثيرة
معلومة لكبــــاره وصــــغاره
فان انتهيت وما أظنـــك تنتهى
ورغبت عنه نجــــوت من أضراره
كم من نقــــود يا فتى وملابس
اتلفتهــــــا بشرائه وشراره
كل البهـــــائم والطيور تباعدت
لم تستطع للأكل من اشــــجاره
وكذا الهـــــوام اذا رآه بقــربه
ترك المكان وحــــاد عن أوكاره
والنحل لم تاكله حال ســـلوكها
ابدا ولـــم تنزل على أزهـــاره
وأمنع نساءك ما استطعت مبالغا
فى زجرهن وقل لهن حــــــذاره
عـار على ذات القنــــاع(١) تلوكه
وتشوب شــــهدة ريقها بعكاره
فترى الثنـــايا اللؤلؤية أصبحت
مقلوحة بســـــواده وصــــفاره
والمضغ مذموم وقبــح طعمـــه
ما دامت الأطرون من أنصـــاره

---

(١) انه يقصد المرأة التى كانت تلبس قبل ذلك قناعا .

● وليس من الحياء : أن تتخلى — اى تتبول — فى طريق الناس أو ظلهم .

فقد ورد فى الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال :

(اتقوا اللاعنين ، قالوا : وما اللاعنان يا رسول الله ؟ قال : الذى يتخلى فى طريق الناس أو ظلهم) .

اخرجه احمد ومسلم وابو داود .

المراد باللاعنين : الامران اللذان يحملان الناس على اللعن ، وذلك ان من فعلهما لعن وشتم عادة ، فلما صار سببا للعن اسند اللعن اليهما على طريق المجاز العقلى ، ويحتمل ان يكون اللاعن بمعنى الملعون ، اى الملعون فاعلهما .

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم : اذا ذهب المذهب ابعد .

ورد عن المغيرة بن شعبة ، واخرجه الأربعة والحاكم ، وقال الترمذى حسن صحيح .

وعن جابر رضى الله عنه انه قال : خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فكان لا يأتى البراز حتى يغيب فلا يرى .

أخرجه ابن ماجه بسند رجاله رجال الصحيح . ولأبى داود .

كان اذا اراد البراز انطلق حتى لا يراه احد .

والبراز بفتح الباء الموحدة ، اسم للفضاء الواسع من الأرض، وكنى به عن حاجة الانسان ، كما كنى عنها بالغائط والخلاء .

● فلاحظ هذا اخا الاسلام ، ولا تكن كهؤلاء الذين يتبولون فى الطرقات كالأنعام بل اضل .

وأرجو أن تكون على عكس ذلك محافظا على نظافة الطريق :

وحسبك ان تعرف اهمية النظافة وفضلها فى الاسلام ، أو تقرأ هذا الحديث :

● وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : **(ان الله تعالى طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكريم ، جواد ــ بتشديد الواو ــ يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا اليهود)** رواه الترمذى وقال : حديث حسن (الجامع الصغير : جـ ١ ص ١١٨) .

وقد قرأت فى النشرة رقم ٧٥ تحت عنوان **(النظافة من الايمان)** ، ما نصه :

والطريق الذى يمر فيها الناس قد تكون نظيفة ومعبدة ، وقد تكون نظيفة غير معبدة تتناثر فيها الحجارة هنا وهناك مما يكون سببا فى عثار المارة والحاق الضرر بهم .

وقد تكون الطريق معبدة ولكنها غير نظيفة وذلك اما أن يكون الانسان نفسه سببا فى القاء القاذورات التى تضر بالمارة فيه ، وذلك مثل الأمطار تصيب الطريق بالأوحال والريح تأتى بالأشواك وتلقيها فى عرض الطريق وغير ذلك مما يكثر التفريع عليه .

والاسلام قد نبه وشدد فى التنبيه على نظافة الطريق من كل هذه الأشياء ، بل ان الاسلام جعل الثواب الجزيل والحسنات الكثيرة لمن ازال من طريق الناس كل ما يضرهم ، ونحن موردون بعض النصوص التى نصت على ذلك :

● فعن أبى برزة رضى الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، **(اعزل الأذى عن طريق المسلمين)** .

أخرجه مسلم وابن ماجه (فيض القدير جـ ١ ص ٥٦٠) .

والنبى صلى الله عليه وسلم أوتى جوامع الكلم ، وفى هذا

النص الصغير كل معنى كبير يبحث عنه الناس وأولوا الأمر لنظافة الطرقات ، بل فيه أيضا الأمر برفع الأذى فلا يباح لأى انسان أن يلقى ما يؤذى الناس فقط ، بل ان الاسلام أمر من وجد الأذى فى الطريق أن يرفعه ويزيله ..

● وعن عبد الله بن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **(فى الانسان ثلاثمائة وستون مفصلا فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة . قالوا : ومن يطيق ذلك يا نبى الله ؟ قال : النخامة فى المسجد تدفنها ، والشىء تنحيه عن الطريق ، فان لم تجد فركعتا الضحى تجزئك) .**

رواه ابو داود . (سنن ابى داود : ج ٢ ص ٦٥١) .

وقد أدرك الصحابة فداحة الواجب عليهم ، فمن يطيق من الناس أن يؤدى ثلاثمائة وستين صدقة كل يوم على عدد مفاصله التى ركبت فيه . ولكن حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم جعلهـا ممكنة فى اخفـاء البصقة الظاهرية على السطح وفى أى شىء يعترض طريق الناس ويحصل به اى أذى حسى أو معنوى ، فاذا كان الانسان فى منطقة نظيفة جدا ، وليس فيها ما يدفنه او ينحيه أو يزيله فعليه أن يصلى لله ركعتين بعد طلوع الشمس ، واشترط لاجراء الصلاة عدم وجود شىء من ذلك فى الطرقات او الأماكن العامة وهذا هـو ظاهر النص والله أعلم .

● روى ابو داود بسنده الى ابى هريرة رضى الله عنه قال : قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم : **(نزع رجل لم يعمل خيرا قط غصن شوك عن الطريق . اما كان فى شجرة فقطعه وألقاه ، وأما كان موضوعا فاماطه ، فشكر الله له فادخله الجنة) .**

رواه ابو داود : ج ٢ ص ٦٥٢ .

واهم من ذلك كله أن الاسلام جعل نظافة الطريق من شعب الايمـــان :

● فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(الايمان بضع وستون شعبة ، فافضلها قــول لا اله الا الله ، وأدناها اماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمـــان) .**

اخرجه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه (كنز العمال : جـ ١ ص ٢٩) .

ويدخل فى المرافق العامة كل ما يؤدى خدمات للجمهور مثل المدارس والمستشفيات والنوادى والدواوين الحكومية وما الى ذلك .

وبما أننا قد سقنا بعض النصوص التى تحض على نظــافة المرافق العامة فيحسن كذلك أن نورد بعض النصوص التى تنهى عن التسبب فى قذارة المرافق بما يؤذى الناس فى أذواقهم وصحتهم وغير ذلك .

فلقد اعتبر الاسلام كل من يؤذى النـــاس فى طرقاتهـــم او نواديهم او أماكن تجمعاتهم متعرضا لسخطهم ولعنتهم .

● فعن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(اتقوا اللعــانين (بفتح اللام والعين المشددتين) قالوا : وما اللعانان يا رسول الله ؟ قال : الذى يتخلى فى طريق المسلمين أو ظلهم) .**

أخرجه مسلم (جـ ١ ص ١٥٦ شرح النووى) .

وفى رواية ابى داود : (**اتقوا اللاعنين**) .

والروايتان صحيحتان .

قال الامام أبو سليمان الخطابى : المراد باللاعنين فعل الأمرين الجالبين اللعن ـ الحاملين الناس عليه والداعين اليه ؛ وذلك أن من فعلها شتم ولعن يعنى عادة الناس لعنه .

وأما رواية مسلم فمعناها والله أعلم : اتقوا فعل اللعانين أى صاحبى اللعن وهما اللذان يلعنهما الناس فى العادة .

قال الخطابى وغيره من العلماء : المراد بالظل هنا مستظل الناس الذى اتخذوه مقيلا ومناخا ينزلونه ويقعدون فيه .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : **(الذى يتخلى فى طريق الناس):** فمعناه يتغوط فى موضع يمر به الناس . وما نهى عنه فى الظل والطريق الا لما فيه من ايذاء المسلمين بتنجيس من يمر به ونتنه واستقذاره والله أعلم .

(النووى على مسلم : ج ٣ ص ١٦١ ، ١٦٢) .

● وعن حذيفة بن أسيد أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : **(من أذى المسلمين فى طرقهم وجبت عليه لعنتهم)**

رواية الطبرانى فى الكبير (حسن) فيض القدير : ج ٦ ص ١٨ .

قال المناوى : قد استدل بهذا الحديث على تحريم قضاء الحاجة فى الطريق . والأذى : ايلام النفس وما يتبعها من الأحوال ـ والضر : ايلام الجسم وما يتبعه من الحواس . أ . هـ .

* * *

●● وخلاصة القول ، فقد رأيت وفى ختام هذا العنصر ، أن أسجل هنا ما أجمله الامام الغزالى رحمه الله فى كتابه **(احياء علوم الدين)** تحت عنوان :

منكرات الشوارع

قال(١) : فمن المنكرات المعتادة فيها وضع الاسطوانات ، وبناء الدكات متصلة بالأبنية المملوكة ، وغرس الأشجار — أى فى وسط الطريق لا على جانبيه — واخراج الرواشن والأجنحة ، ووضع الخشب ، واحمال الحبوب والأطعمة على الطريق(٢) ، فكل ذلك منكر ان كان يؤدى الى تضييق الطرق واستضرار المارة ، وان لم يؤد الى ضرر أصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه .

نعم : يجوز وضع الحطب وأحمال الأطعمة فى الطريق ، بحيث يضيق الطريق ، فى القدر الذى ينقل الى البيوت فان ذلك يشترك فى الحاجة اليه الكافة ، ولا يمكن المنع منه ، وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق وينجس المجتازين منكرا يجب المنع منه ، الا بقدر حاجة النزول والركوب ، وهذا لأن الشوارع مشتركة المنفعة ، وليس لأحد أن يختص بها الا بقدر الحاجة ، والمرعى هو الحاجة التى تراد الشوارع لأجلها فى العادة دون سائر الحاجات .

ومنها سوق الدواب وعليها الشوك ، بحيث يمزق ثياب الناس ، فذلك منكر ان امكن شدها وضمها بحيث لا تمزق ، أو أمكن العدول بها الى موضع واسع ، والا فلا منع اذ حاجة اهل البلد — اى اهل القرى — تمس الى ذلك ، نعم : لا تترك ملقاة على الشوارع الا بقدر مدة النقل ، وكذلك تحميل الدواب من الأحمال ما لا تطيقه منكر يجب منع الملاك منه . وكذلك ذبح القصاب

---

(١) فى الجزء السابع ص ١٢٤٣ طبعة دار الشعب .

(٢) انه يشير الى طرق القرى بصفة خاصة .

ــ أى الجزار ــ اذا كان يذبح فى الطريق حذاء باب الحانوت(١) ويلوث الطريق بالدم ، فانه منكر يمنع منه ، بل حقه أن يتخذ فى دكانه فان ذلك تضييقا بالطريق ، واضرارا بالنـــــاس ، بسبب ترشيش النجاسة ، وبسبب استقذار الطباع للقاذورات ، وكذلك طرح القمامة على جوار الطريق وتبديد قشور البطيخ ، أو رش الماء بحيث يخشى منه التزلق والتعثر كل ذلك من المنــكرات ، وكذلك ارسال الماء من الميازيب المخرجة من الحائط فى الطريق الضيقة ، فان ذلك ينجس الثياب ، أو يضيق الطريق ، فلا يمنع منه فى الطرق الواسعة اذ العدول عنه ممكن، فأما ترك مياه المطر والأوحال والثلوج فى الطرق من غير كسح فذلك منكر ، ولكن ليس يختص به شخص معين الا الثلج الذى يختص بطرحه على الطريق واحد ، والماء الذى يجتمع على الطريق من ميزاب معين ، فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق ، وان كان من المطر فذلك حسبة عامة ، فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها ، وكذلك اذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذى الناس فيجب منعه منه ، وان كان لا يؤذى الا بتنجيس الطريق ، وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه ، وان كان يضيق الطريق ببسطه ذراعيه فيمنع منه ، بل يمنع صاحبه من أن ينام على الطريق أو يقعد قعودا يضيق الطريق ، فكلبه أولى بالمنع .

●● فلا تنس كل هذا اخا الاسلام حتى تكف أذاك عن الناس .

وحتى تكون مسلما بالمعنى الصحيح : ففى الحديث الشريف الذى روى : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(المسلم من سلم المسلمون من لســـــانه ويده ، والمهـــاجر من هجـــر ما نهى الله عنه)** متفق عليه .

---

(٢) أى بجوار دكانه وأمام بابه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متـــاع . فقـــال : ان المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا وقذف هــــذا وأكل مـــال هــذا ، وســـفك دم هــذا ، وضرب هـــــذا . فيعطى هــذا من حســـناته ، وهــذا من حســناته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليــه ، ثم طرح فى النار)** . رواه مسلم . .

●● فضع كل هذا نصب عينيك حتى تكون أهلا لتنفيذ هذا الحق الثانى من حقوق الطريق :

● **(فطوبى لمن عقل لسانه وكفه، وأطلق بالخير بنانه وكفه).**

وحسبك فى النهاية قول الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليـــه :

● **(.. لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق) رواه** ابن حبان فى صحيحه ، والحاكم ، وقال: صحيح الاسناد.

●● ولا يفوتنى كذلك فى النهاية ان أذكرك بهذا الحديث الذى يقول فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

● **(من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك :**

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا اله الا أنت ، استغفرك وأتوب اليك :

الا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك) .

رواه الترمذى من حديث ابى هريرة وصححه .

ردّ السلام

●● وأما عن :

رد الســـــــلام

فهو فرض لأن الله تعالى أمر به فقال :

● **(واذا حييتم بتحيـــة فحيوا بأحسن منهـــا أو ردوها)** ..
النساء : الآية ٨٦ .

● وقد قال القرطبى فى تفسير هذه الآية بعد أن ذكر بعض الآراء المتعلقة بمعنى التحية :

والصحيح أن التحيـــــة ههنـــا الســــــلام ، لقوله تعالى : **(واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله)** .

وقال النابغة الذبيانى :

تحييهم بيض الولائد بينهـــــــــم
واكسيه الا ضريح فوق المشـــاجب

أراد : ويسلم عليهم . وعلى هذا جماعة المفسرين :

● ثم يقول القرطبى رحمه الله :

● واذا ثبت هذا وتقرر ففقه الآية أن يقال : أجمع العلماء على أن الابتداء بالسلام سنة مرغب فيها ، ورده فريضة لقـــوله تعالى : **(فحيوا بأحسن منها أو ردوها)** :

● ثم أراد أن يورد بعض الأحكام المتعلقة برد السلام ، فقال: واختلفوا اذا رد واحد من جماعة هل : يجزىء أو لا ؟ .

فذهب مالك والشافعى الى الأجزاء ، وأن المسلم قد رد عليه مثل قوله .

وذهب الكوفيون : الى أن ردالسلام من الفروض المتعينة ، قالوا : والسلام خلاف الرد لأن الابتداء به تطوع ورده فريضة .

ولو رد غير المسلم عليهم لم يسقط ذلك عنهم فرض الرد ، فدل على أن رد السلام يلزم كل انسان بعينه ، حتى قال قتادة والحسن : ان المصلى يرد السلام كلاما اذا سلم عليه ولا يقطع ذلك عليه صلاته ، لأنه فعل ما أمر به . والناس على خلافه :

احتج الأولون بما رواه أبو داود عن على بن أبى طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : **(يجزىء من الجماعة اذا مروا أن يسلم أحدهم ، ويجزىء عن الجلوس أن يرد أحدهم) :** وهذا نص فى موضع الخلاف . قال أبو عمر : وهو حديث حسن لا معارض له ، وفى اسناده سعيد بن خالد ، الخزاعى مدنى ليس به بأس عند بعضهم ، وقد ضعفه بعضهم منهم أبو ذرعة وأبو حاتم ويعقوب بن شيبة وجعلوا حديثه هذا منكرا لأنه انفرد فيه بهذا الاسناد ، على أن عبد الله ابن الفضل لم يسمع من عبيد الله بن أبى رافع ، بينهما الأعرج فى غيرها حديث . والله أعلم .

واحتجوا أيضا بقوله عليه السلام : **(يسلم القليل على الكثير)** ولما أجمعوا على أن الواحد يسلم على الجماعة ولا يحتاج الى تكريره على عداد الجماعة ، كذلك يرد الواحد عن الجماعة وينوب عن الباقين كفروض الكفاية .

وروى مالك عن زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **(يسلم الراكب على الماشى واذا سلم واحد من القوم أجزا عنهم)** . قال علماؤنا : وهذا يدل على أن الواحد يكفى الرد ، لأنه يقال أجزأ عنهم الا فيما وجب . والله أعلم .

● ثم يشير القرطبى بعد ذلك الى المعنى المراد من قوله تعالى : **(فحيوا بأحسن منها أو ردوها)** فيقول :

رد الأحسن ان يزيد فيقول :

عليك السلام ورحمة الله ، لمن قال سلام عليك . فان قال : سلام عليك ورحمة الله ، زدت فى ردك : وبركاته . وهذا هو النهاية فلا مزيد . قال الله تعالى مخبرا عن البيت الكريم : **(رحمة الله وبركاته)** .

فان انتهى بالسلام غايته ، زدت فى ردك الواو فى أول كلامك فقلت : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .

والرد بالمثل أن تقول لمن قال : السلام عليك : عليك السلام ، الا انه ينبغى أن يكون السلام كله بلفظ الجماعة وان كان المسلم عليه واحدا .

وروى الاعمش عن ابراهيم النخعى ، قال : اذا سلمت على الواحد فقل : السلام عليكم ، فانه معه الملائكة .

وكذلك الجواب يكون بلفظ الجمع .

قال ابن أبى زيد : يقول المسلم : السلام عليكم ، ويقول الراد : وعليكم السلام ، أو يقول : السلام عليكم ، كما قيل له ، وهو معنى قوله تعالى (**أو ردوها**) ولا تقل فى ردك : سلام عليك .

● ثم يقول القرطبى : والاختيار فى التسليم والأدب فيه تقديم اسم الله تعالى على اسم المخلوق ، قال الله تعالى : (**سلام على آل ياسين**) .

وقال فى قصة ابراهيم عليه السلام : (**رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت**) وقال مخبرا عن ابراهيم عليه السلام : (**سلام عليك**) . وفى صحيح البخارى : ومسلم فى حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس ، فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحية ذريتك — قال — فذهب فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله — قال — فزادوه ورحمة الله — قال : فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن**) .

فقد جمع هذا الحديث — كما يقول القرطبى — مع صحته فوائد سبع : الأولى : الاخبار عن صفة خلق آدم . الثانية : انا ندخل الجنة عليها بفضله . الثالثة تسليم القليل على الكثير . الرابعة :

تقديم اسم الله تعالى . الخامسة : الرد بالمثل لقولهم : السلام عليكم . السادسة : الزيادة فى الرد . السابعة : اجابة الجميع بالرد كما يقول الكوفيون . والله أعلم .

● ثم يقول : فان رد فقدم اسم المسلم عليه لم يأت محرما ولا مكروها ، لثبوته عن النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال للرجل الذى لم يحسن الصلاة وقد سلم عليه : (**وعليك السلام . ارجع فصل فانك لم تصل**) . وقالت عائشة : وعليه السلام ورحمة الله ، حين أخبرها النبى صلى الله عليه وسلم أن جبريل يقرأ عليها السلام .

أخرجه البخارى . وفى حديث عائشة من الفقه ان الرجل اذا أرسل الى رجل بسلام فعليه أن يرد عليه اذا شافهه .

وجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ان ابى يقرئك السلام ، فقال : (**عليك وعلى أبيك السلام**) .

وقد روى النسائى وأبو داود من حديث جابر بن سليم قال : لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : عليك السلام يا رسول الله ، فقال : (**لا تقل عليك السلام ، فان عليك السلام تحية الميت ، ولكن قل : السلام عليك**) .

وهذا الحديث لا يثبت ، الا انه لما جرت عادة العرب بتقديم اسم المدعو عليه فى الشر كقولهم : عليه لعنة الله وغضب الله . قال الله تعالى : (**وان عليك لعنتى الى يوم الدين**) . وكان ذلك أيضا دأب الشعراء وعادتهم فى تحية الموتى ، كقولهم :

عليك سلام الله قيس بن عاصم

ورحمته ما شاء ان يترحما :

نهاه عن ذلك ، لا أن ذاك هو اللفظ المشروع فى حق الموتى ، لأنه عليه السلام ثبت عنه انه سلم على الموتى كما سلم على الأحياء ، فقال : (**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون**) . فقالت عائشة : قلت يا رسول الله ، كيف أقول اذا دخلت المقابر ؟ قال : (**قولى السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين**)

الحديث . ويحتمل أن يكون حديث عائشة وغيره فى السلام على أهل القبور جميعهم اذا دخلها واشرف عليها ، وحديث جابر بن سليم خاص بالسلام على المرور المقصود بالزيارة . والله اعلم .

● ومن السنة تسليم الراكب على الماشى ، والقائم على القاعد ، والقليل على الكثير ، هكذا جاء فى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(يسلم الراكب)** فذكره فبدأ بالراكب لعلو مرتبته ، لأن ذلك ابعد له من الزهو ، وكذلك قيل فى الماشى مثله . وقيل : لما كان القاعد على حال وقار وثبوت وسكون فله مزية بذلك على الماشى ، لأن حاله على العكس من ذلك . واما تسليم القليل على الكثير فمراعاة لشرفية جمع المسلمين واكثريتهم .

وقد زاد البخارى فى هذا الحديث : **(ويسلم الصغير على الكبير)** واما تسليم الكبير على الصغير ، فروى اشعث عن الحسن أنه كان لا يرى التسليم على الصبيان ، قال : لأن الرد فرض والصبى لايلزمه الرد فلا ينبغى أن يسلم عليهم .

وروى عن ابن سيرين انه كان يسلم على الصبيان ولكن لا يسمعهم .

وقال اكثر العلماء : التسليم عليهم افضل من تركه . وقد جاء فى الصحيحين عن سيار قال : كنت أمشى مع ثابت فمر بصبيان فسلم عليهم ، وذكر انه كان يمشى مع انس فمر بصبيان فسلم عليهم ، وحدث أنه كان يمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بصبيان فسلم عليهم . لفظ مسلم . وهذا من خلقه العظيم صلى الله عليه وسلم ، وفيه تدريب للصغير وحض على تعليم السنن ورياضة لهم على آداب الشريعة فيه ، فلنقتد .

واما التسليم على النساء فجائز ألا على الشابات منهم خوف

الفتنة من مكالمتهن بنزعة شيطان أو خائنة عين . وأما المتجالات(١) والعجز فحسن للأمن فيما ذكرناه ، هذا قول عطاء وقتادة ، واليه ذهب مالك وطائفة من العلماء . ومنه الكوفيون اذا لم يكن منهن ذوات محرم ، وقالوا : لما سقط عن النساء ، الآذان والاقامة والجهر بالقراءة فى الصلاة سقط عنهن رد السلام فلا يسلم عليهن . والصحيح الأول لما خرجه البخارى عن سهل بن سعد قال : كنا نفرح بيوم الجمعة . قلت : ولم ؟ قال : كانت لنا عجوز ترسل الى بضاعة ــ قال ابن سلمة : نخل بالمدينة ــ فنأخذ من أصول السلق(٢) فتطرحه فى القدر وتكركر(٣) حبات من شعير ، فاذا صلينا الجمعة انصرفنا فنسلم عليها فتقدمه الينا فنفرح من أجله ، وما كنا نقيل ولا نتغذى الا بعد الجمعة .

والسنة فى السلام والجواب الجهر ، ولا تكفى الاشارة بالأصبع والكف عند الشافعى ، وقال القرطبى : وعندنا تكفى ــ أى الاشارة ــ اذا كان على بعد .

وروى ابن وهب عن ابن مسعود قال : السلام اسم من أسماء الله عز وجل وضعه الله فى الأرض فافشوه بينكم ، فان الرجل اذا سلم على القوم فردوا عليه ، كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم ، فان لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم وأطيب . أى : الملائكة .

وروى الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث قال: اذا سلم الرجل على القوم كان له فضل درجة ، فان لم يردوا عليه ردت الملائكة ولعنتهم .

فاذا رد المسلم اسمع جوابه لأنه اذا لم يسمع المسلم لم يكن

---

(١) المتجالة الهرمة المسنة .

(٢) نبت له ورق طوال « بكسر السين » .

(٣) أى تطحن .

جوابا له ، الا ترى ان المسلم اذا سلم بسلام لم يسمعه المســلم عليه لم يكن ذلك منه سلاما ، فكذلك اذا أجاب بجواب لم يسمع منه فليس بجواب .

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **(اذا ســلمتم فاسمعوا واذا قعدتم فاقعدوا بالأمانة ولا يرفعن بعضكم حــديث بعض)** .

قال ابن وهب : واخبرنى اسامة بن زيد عن نافع قال : كنت اساير رجلا من فقهاء الشام يقال له عبد الله زكريا فحبستنى دابتى تبول ، ثم ادركته ولم أسلم عليه ، فقال : الا تسلم ؟ فقلت : انما كنت معك آنفا(١) ، فقال : وان صح ، لقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسايرون فيفرق بينهم الشجر فاذا التقوا سلم بعضهم على بعض .

● وأما الكافر : فحكم الرد عليه أن يقال له : وعليكم . قال ابن عباس وغيره : المراد بالآية : **(واذا حييتم بتحية)** فاذا كانت من مؤمن **(فحيوا بأحسن منها)** وان كانت من كافر فردوا عليه بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال لهم (**وعليكم**) .

وقال ابن عطاء : الآية فى المؤمنين خاصة ، ومن سلم من غيرهم قيل : عليك ، كما جاء فى الحديث .

● واختلف فى رد السلام على أهل الذمة هل هو واجب كالرد على المسلمين ، واليه ذهب ابن عباس والشعبى وقتادة تمســكا بعموم الآية ، وبالأمر بالرد عليهم فى صحيح السنة .

وذهب مالك فيما روى عنه أشهب وابن وهب الى أن ذلك ليس بواجب ، فان رددت فقل : عليك . واختار ابن طاوس أن يقول فى الرد عليهم : علاك السلام ، أى ارتفع عنك . واختار بعض علمائنا : السلام (**بكسر السين**) يعنى به الحجارة . وقول مالك وغيره فى ذلك كاف شاف كما جاء فى الحديث ..

---

(١) اى : كنت معك قبل أن تحبسنى الدابة .

وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم**) : وهذا يقتضى افشاءه بين المسلمين دون المشركين .

● ولا يسلم على المصلى ، فان سلم عليه ، فهو بالخيار ، ان شاء رد بالاشارة باصبعه ، وان شاء أمسك حتى يفرغ من الصلاة ثم يرد .

● ولا ينبغى ان يسلم على من يقضى حاجته(١) فان فعل لم يلزمه ان يرد عليه .

دخل رجل على النبى صلى الله عليه وسلم فى مثل هذه الحال، فقال له : (**اذا وجدتنى أو رأيتنى على هذه الحال فلا تسلم على فانك ان سلمت على لم أرد عليك**) .

● ولا يسلم على من يقرأ القرآن فيقطع عليه قراءته ، وهو بالخيار ، ان شاء رد وان شاء أمسك حتى يفرغ ثم يرد .

● ولا يسلم على من دخل الحمام وهو كاشف للعورة او كان مشغولا بما له دخل بالحمام ، ومن كان بخلاف ذلك سلم عليه .

●● وهناك أحكام أخرى تتعلق بالسلام والرد عليـــــه ، اوردها النووى فى كتابه (**الأذكار**) : ارى اتماما للفائدة ان أوقفك عليها(١) ، فاليك :

● واقل السلام الذى يصير به مسلما مؤديا سنة السلام أن يرفع صوته بحيث يسمع المسلم عليه فان لم يسمع لم يكن آتيـــا بالسلام فلا يجب الرد عليه . واقل ما ينسقط به فرض رد السلام ان يرفع صوته . بحيث يسمعه المسلم فان لم يسمعه لم يسقط عنه فرض الرد ...

---

(١) أى : يتبول .

(١) بتصرف واختصار .

والمستحب أن يرفع صوته رفعا يسمعه المسلم عليه أو عليهم سماعا محققا ، واذا تشكك فى أنه يسمعهم زاد فى رفعه واحتاط واستظهر .

اما اذا سلم على ايقاظ عندهم نيام : فالسنة أن يخفض صوته بحيث يحصل سماع الايقاظ ولا يستيقظ النيام .

● وبالنسبة لرد السلام ، فقد قال :

ويشترط أن يكون الجواب على الفور ، فان أخره ثم رد لم يعد جوابا ، وكان آثما بترك الرد .

● وعن حكم ابتداء السلام والرد عليه قال :

واعلم ان ابتداء السلام سنة مستحبة ليس بواجب وهو سنة على الكفاية ، فان كان المسلم جماعة كفى عنهم تسليم واحد منهم ولو سلموا كلهم كان أفضل .

واما رد السلام : فان كان المسلم عليه واحدا تعين عليه الرد ، وان كانوا جماعة كان رد السلام فرض كفاية عليهم ، فان رد واحد منهم سقط الحرج عن الباقين وان تركوا كلهم أثموا كلهم ، وان ردوا كلهم فهو النهاية فى الكمال والفضيلة ...

● اذا بعث انسان مع انسان سلاما فقال الرسول : فلان يسلم عليك : فانه يجب عليه ان يرد على الفور ، ويستحب أن يرد على المبلغ أيضا ، فيقول : وعليك السلام ...

● اذا سلم على اصم لا يسمع : فينبغى أن يتلفظ بلفظ السلام لقدرته عليه ويشير بالجواب ليحصل به الافهام ويسقط عنه فرض الجواب .

● ولو سلم على اخرس فأشار الأخرس باليد سقط عنه الفرض ، لأن اشارته قائمة مقام العبادة ، وكذا لو سلم عليه الأخرس بالاشارة يستحق الجواب ..

● ولو سلم على صبى لا يجب عليه — أى على الصبى —

الجواب ، لأن الصبى ليس من أهل الفرض .. لكن الأدب والمستحب له الجواب .

ولو سلم الصبى على بالغ ، ففيه وجهان : ينبنيان على صحة اسلامه ، فان قلنا يصح اسلامه كسلام البالغ : يجب جوابه . وان قلنا لا يصح اسلامه : لم يجب رد السلام لكن يستحب . والصحيح من الوجهين وجوب رد السلام ...

والمراة مع المراة ، كالرجل مع الرجل ، واما المراة مع الرجل، فقد قال أبو سعد المتولى :

ان كانت زوجته أو جاريته أو محرما من محارمه فهى معه كالرجل فيستحب لكل واحد منهما ابتداء الآخر بالسلام ويجب على الآخر ردالسلام عليه .

واذا كانت اجنبية : : فان كانت جميلة يخاف الافتتان بها لم يسلم الرجل عليها ، ولو سلم لم يجز لها رد الجواب ، ولم تسلم هى عليه ابتداء ، فان سلمت لم تستحق جوابا فان أجابها كره له .

وان كانت عجوزا لا يفتن بها جاز أن تسلم وعلى الرجل رد السلام عليها .

واذا كانت النساء جمعا ، فيسلم عليهن الرجل ، أو كان الرجال جمعا كثيرا فسلموا على المراة الواحدة جاز اذا لم يخف عليه ولا عليهن ولا عليها أو عليهم فتنة ، فان خيفت فتنة فيحرم سلام الرجل على جمع النساء ، وسلام الرجال على المراة .

روى أبو داود والترمذى وابن ماجه وغيرهم : عن أسماء بنت زيد رضى الله عنها قالت : مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فسلم علينا . قال الترمذى : حديث حسن .

وهذا الذى ذكرته لفظ رواية أبى داود ، واما لفظ رواية الترمذى ففيها عن أسماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر فى المسجد يوما وعصبة من النساء قعودا ، فألوى بيداه بالتسليم .

● اذا لقى رجل جماعة فأراد ان يخص طائفة منهم بالسلام كره لأن القصد من السلام المؤانسة والألفة وفى تخصيص البعض ايحاش الباقين ، وربما صار سببا للعداوة .

● يستحب اذا دخل انسان بيته أن يسلم وان لم يكن فيه أحد وليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . كذا اذا دخل مسجدا أو بيتا لغيره ليس فيه أحد يستحب أن يسلم وان يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته .

● اذا كان جالسا مع قوم ثم قام ليفارقهم فالسنة أن يسلم عليهم ، فقد روينا فى سنن أبى داود والترمذى وغيرهما بالأسانيد الجيدة عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**اذا انتهى احدكم الى المجلس فليسلم ، فاذا اراد ان يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة**) قال الترمذى : حديث حسن .

● اذا مر على واحد أو أكثر وغلب على ظنه انه اذا سلم لايرد عليه اما لتكبر المرور عليه ، واما لاهماله المار أو السلام واما لغير ذلك فينبغى ان يسلم ولا يتركه لهذا الظن ، فان السلام مأمور به ، والذى أمر به المار ان يسلم وهو لم يؤمر بأن يحصل الرد مع المرور عليه وقد يخطىء الظن فيه ويرد ..

●● فلاحظ كل هذا أخا الاسلام وكن من هؤلاء المسلمين حقا: الذين يتبادلون السلام مع اخوانهم المسلمين حتى يدخلوا الجنة بسلام ، وحتى تدوم المودة والمحبة بينهم ، فقد ورد :

● عن أبى يوسف عبد الله بن سلام ، رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (**يا ايها الناس افشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا والناس نيام : تدخلوا الجنة بسلام**) .

رواه الترمذى وقال حديث صحيح .

● وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أدلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم : افشوا السلام بينكم)** رواه مسلم .

●● ولهذا ، فقد ورد :

● عن الطفيل بن أبى كعب انه كان يأتى عبد الله بن عمر فيغدو معه الى السوق ، قال : فاذا غدونا الى السوق لم يمر عبدالله على سقاط ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد الا سلم عليه . قال الطفيل : فجئت عبد الله بن عمر يوما فاستتبعنى الى السوق ، فقلت له : ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع ولا تسأل عن السلع ولا تسوم بها ولا تجلس فى مجالس السوق وأقول اجلس بنا اجلس بنا هبهنا نتحدث . فقال : يا أبا بطن وكان الطفيل ذا بطن : انما نغدوا من أجل السلام نسلم على من لقيناه .

رواه مالك فى الموطأ بأسناد صحيح .

فاتعـــظ منـــه وانـــذر
انـــه فى الوعـــظ غـــاية
واتخـــذ ما فيـــه ذكرى
ان فى هـــذا كفـــاية

***

الأمر بالمعروف
و
النهي عن المنكر

●● وأما عن الحق الرابع والأخير من حقوق الطريق ، وهـــو :

الأمر بالمعروف والنهى عن المنـكر

فقبل أن تعرف حكمهما فى الاسلام : أرى أن أوقفك أولا على تعريف المعروف والمنكر ، كما فى التاج الجامع للأصول(١) ، فاليك :

● المعروف ، هو ما عرفه الناس بأنه محبوب للشـــارع مفروضا كان أو مسنونا أو مستحبا .

● والمنكر ، هو : ما ينكره الشارع محرما كان أو مكروها .

●● وعن حكمهما ، معا :

● يقول ابن حزم(٢) : أتفقت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بلا خلاف بين أحد منهم ، لقول الله تعـــالى : **(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)** آل عمران : ١٠٤ .

● ويقول القرطبى عند تفسير قوله تعالى : **(ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم)** آل عمران : ٢١ .

يقول(٣) : دلت هذه الآية على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كان واجبا فى الامم المتقدمة وهو فائدة الرسالة وخلافة النبوة :

---

(١) هامش ص ٢٣٤ ج ٥ .

(٢) الفصل فى الملل والنحل لابن حزم : ج ٥ ص ١١٠ .

(٣) القرطبى : ج ٤ ص ٤٧ .

قـــال الحسن : قال النبى صلى الله عليه وســـلم :
(من أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه) .

● ويقول الاستاذ الامام محمد عبده(1) :

وفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تشبه فريضة الحج التى هى فرض عين ، ولكن على المستطيع . وفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر آكد من فريضة الحج لأنه لم يشترط فيهـــا الاستطاعة لأنها مستطاعة دائما ، فلابد المرء لحفظ نفسه ومن معه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لاسيما أمهات المنـــكرات المفسدة للاجتماع كالكذب والخيانة والحسد والغش :

فهذا ليس من فروض الكفاية التى يتواكل فيها الناس كصلاة الجنازة ، اذ لا يجب على كل من يعلم أن هنا ميتا أن ينتظر غسله ليصلى عليه ، بل يكفى أن يعلم أنه يوجد من يصلى عليه ، ولكنـــه اذا رأى منكرا وجب عليه أن ينهى عنه ولا ينتظر غيره .

●● فمن هذه الأقوال ... الواضحة ... تعلم أخا الاسلام أنه يجب عليك أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، حتى تعين على انتشار الفضيلة ، ومحاربة الرذيلة .

● وحتى تتحقق الخيرية التى أشار الله سبحانه وتعالى اليها فى قوله :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران : ١١٠ .

● ويتحقق الفلاح المشار اليه فى قوله تعالى :

---

(1) المنار جـ ٤ ص ٣٥ بتصرف .

(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران : ١٠٤ .

● ونكون به من الذين يستحقون رحمة الله تعالى كما تشير الآية الكريمة التى يقول الله تبارك وتعالى فيها :

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله : أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم) التوبة : ٧١ .

● بل وسنعين به على تحقيق النصر المشار اليه فى قوله تعالى :

(ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم فى الأرض : أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) الحج : ٤٠ ، ٤١ .

* * *

●● وهناك صفات ينبغى أن يتصف بها الداعى الى الله سبحانه وتعالى أرى كذلك أن اذكرك بها حتى تكون ناجحا فى : أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر ، وحتى تكون أهلا لحمل هذه المهمة العظيمة التى ان أديتها باخلاص كنت من ورثة الأنبياء وكنت بذلك مفتاحا للخير ، مغلاقا للشر .

وحسبك أن تحقق بك هذا ، أن تبشر نفسك بهذا الحديث الشريف الذى يقول فيه صلوات الله وسلامه عليه :

● **(لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم)** اخرجه احمد من حديث معاذ ، وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد انه قال ذلك لعلى .

وحتى لا اطيل عليك ، فاليك الصفات التى ينبغى على من يتصدى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ان يكون متصفا بها :

●● أولها ، العـــــلم : قال تعـــــالى :

● **(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحســـنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ، ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله، وهو اعلم بالمهتدين)** النحـــل : ١٢٥ .

فالحكمة فى هذه الآية . هى :

العلم النافع الذى ان تسلحت به كنت قويا فى حجتك ، وكنت مؤثرا فى قلوب سامعيك .

●● ولهذا ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم مرغبا فى طلب العـــلم :

● **(ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع)** رواه احمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال .
وقال صلى الله عليه وسلم :

● **(طلب العلم فريضة على كل مسلم)** .
من حديث رواه ابن ماجة وغيره .

وقال صلى الله عليه وسلم :

● **(من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام فبينه وبين الأنبياء فى الجنة درجة واحدة)** رواه الدارمى وابن السنى فى رياضة المتعلمين ، وهو حديث مرسل .

ولما كان طلب العلم (الدعاة) بصفة خاصة من أهم ما يجب عليهم أن يتسلحوا به حتى يبلغوا رسالات الله تبليغا صحيحا لا تحريف فيه ولا تخريف :

● كان لزاما عليهم — كما أشرت — أن يكون هنـــاك تركيز من جانبهم على طلب العلم وتحصيله .

والى هذا يشير الله سبحانه وتعالى فى قوله :

● **(فلولا نفـــــر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)** التوبة : ١٢٢ .

يقول ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير هذه الآية : (كان ينطلق من كل حى من العرب عصابة(١) ، فيأتون النبى صلى الله عليــه وســـــلم يســـــألونه ما يريــدون من أمر دينهـــــم ، ويتفهمون فى دينهم ، ويقـــــولون للنبى صـــلى الله عليه وسلم : ما تأمرنا أن نفعـــــله ؟ واخبــرنا بمـــا نأمر بـــه عشـــــائرنا اذا قدمنا عليهم . قال : فيأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله ، ويبعثهم الى قومهم بالصلاة والزكاة ، وكانوا اذا أتوا قومهم .. يدعونهم الى الاسلام وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة) ابن كثير جـ ٢ ص ٤٠١ .

●● ثانيهما ، العمل بما يقول : فى القرآن الكريم يقول تبارك وتعـــــالى :

● **(اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتـــــلون الكتاب ، افلا تعقلون)** البقرة : ٤٤ .

كما ذم سبحانه وتعالى كل من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وخالف فعله قوله ، فقال :

● **(يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)** الصف : ٢ ، ٣ .

●● وفى السنة :

● عن أسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **(يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النـــــار**

---

(١) أى : الجماعة من الناس من العشرة الى الاربعين .

فتندلق أقتاب(1) بطنه فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى ، فيجتمع اليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك ؟ الم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه) رواه البخارى ومسلم .

● وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(رأيت ليلة أسرى بى رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من النار . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : الخطباء من امتك الذين يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهو يتلون الكتاب ، أفلا يعقلون) .

رواه ابن أبى الدنيا وابن حبان .

● وعن جندب بن عبد الله الأزدى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مثل الذى يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضىء للناس ويحرق نفسه) رواه الطبرانى باسناد حسن والبزار .

● وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(يبصر احدكم القذاة فى عين اخيه ، وينسى الجذع فى عينه)** رواه ابن حبان فى صحيحه .

●● فلا تنس كل هذا أخا الاسلام حتى تكون عاملا بما تقول، وحتى لا تكون من الذين يقولون ما لا يفعلون :

وحسبك كذلك هذه الآثار :

● قال أبو الدرداء رضى الله عنه :

---

(1) تندلق أقتاب بطنه : اى تخرج امعاؤه .

(ويل لمن لا يعلم مرة ، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات).
احياء علوم الدين : جـ ١ ص ٦٣ .

● وقال مالك بن دينار رحمه الله :

(ان العالم اذا لم يعمل بعلمه : زلت موعظته عن القلوب ، كما يزل القطر عن الصفا(١) .

احياء علوم الدين : جـ ١ ص ٦٣ .

● ويقول الامام الغزالى رحمه الله :

(ان هداية الغير فرع الاهتداء ، وكذلك تقويم الغير فرع الاستقامة ، والاصلاح زكاة عن نصاب الصلاح ، فمن ليس بصالح فى نفسه فكيف يصلح غيره ، ومتى يستقيم الظل والعود اعوج) .

احياء علوم الدين : جـ ٢ ص ٣٠٩ .

● وقال ابو الأسود الدؤلى رحمه الله المتوفى سنة ٦٥ هـ ، من قصيدة ميمية فى الحكم :

واذا طلبت الى كريم حاجة
فلقاؤه يكفيك والتسليم
اترك مجاراة السفيه فانها
ندم وغب(٢) بعد ذاك وخيم

* * *

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام(٣) وذى الضنا
كيما يصح به وأنت سقيم

---

(١) اى : عن الحجارة الملساء .
(٢) اى : العاقبة .
(٣) اى : المرض .

ونراك تصـــــلح بالرشاد عقولنـــا
أبدا وأنت من الرشاد(١) عـــــديم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيهـــــا(٢)
فاذا انتهت عنــــه فأنت حــــكيم
فهناك من يسمع ما تقول ويهتــدى
بالقــــول منك فينفع التعــــليم
لا تنـــــه عن خلق وتأتى مثــــله
عـــار عليـــك اذا فعلت عظيــــم

● وقال آخر :

مواعظ الواعــظ لن تقبـــــــلا
حتى يعيهــــــا قلبــــــه أولا
يا قـــوم من أظـــــلم من واعــظ
خـــــالف ما قد قـــــاله فى الملا
أظهــــر بين الخلق احســــــانه
وخالف الرحمــن لمـــا خــــــلا

●● **وثالثها ، الاخلاص :**

وقد قرأت فى كتاب **(هداية المرشدين)**(٣) كلاما جامعـــــا ، أرى من الخير أن أزودك به ، فاليك :

● **(فينبغى للداعى ان يتحلى بالآداب الشرعية ، والاخلاص فى الدعوة الى الله تعالى حتى يكون وارثا نبويا ، وعالما ربانيا ، وان يعلم انه لا يجتمع الاخلاص فى القلب ، ومحبة المدح والثنـــاء**

---

(١) اى : الهـــدى .
(٢) أى الضــــلال .
(٣) للشيخ على محفوظ ــ رحمه الله تعالى ص ١٠٩ .

والطمع فيما عند الناس ، الا كما يجتمع الماء والنار ، والضب والحوت فاذا حدثتك نفسك بطلب الاخلاص فاقبل على الطمع أولا فاذبحه بسكين اليأس ، واقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدنيا فى الآخرة ، فاذا تم لك ذبح الطمع والزهد فى الثناء والمدح : سهل عليك الاخلاص ، والذى يسهل عليك ذبح الطمع علمك يقينا أنه ليس من شىء يطمع فيه الا وبيد الله تعالى وحده خزائنه لا يملكها غيره ولا يؤتى العبد منها شيئا سواه الذى يسهل عليك الزهد فى الثناء والمدح علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين ، ويضر ذمه ويشين ، الا الله وحده ، كما قال ذلك الاعرابى للنبى صلوات الله وسلامه عليه : (ان مدحى زين ، وذمى شين . فقال: ذلك الله عز وجل) قطعة من حديث طويل أخرجه ابن اسحق وغيره عن ابن عباس . فازهد فى مدح من لا يزينك مدحه ، وفى ذم من لا يشينك ذمه ، وارغب فى مدح من كل الزين فى مدحه ، وكل الشين فى ذمه)

●● فليكن هذا المضمون الجامع دائما وأبدا نصب عينيك حتى تكون من المخلصين فى دعوتك الى الله سبحانه وتعالى وحتى تكون شجاعا لا تخشى فى الله لومة لائم ولا ترضى أحدا غير الله :

●● وحتى تكون من المخلصين ، وتتجنب الرياء : اليك هذا الحديث الصحيح الذى رواه مسلم والنسائى وغيرهما :

● عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **(ان أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد فاتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : فلان جرىء فقد قيل ثم آمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فاتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت**

فيك القرآن . قال : كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال : عالم . وقرأت القرآن ليقال : هو قارىء . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما فعلت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا انفقت فيها لك . قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال : هو جواد ، فقد قيل . ثم امر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار) .

●● وفى الأثر :

● يقول سليمان الدارانى :

(طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى).

● وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه :

(من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس) .

● وقال ايوب السختيانى : **(تخليص النيات على العمال (العباد) أشد عليهم من جميع الأعمال) .**

●● ورابعها ، الأمانة :

والمراد بها أن يكون المرء أمينا فى تبليغ دين الله فلا يزيد ولا ينقص ولا يقول عن الله الا ما كان عالما به متمكنا فيه ، وعن رسوله صلى الله عليه وسلم الا ما صح عنه وكان على دراية بروايته .

●● ففى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى :

● **(قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والاثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وان تقولوا على الله ما لا تعلمون)** الأعراف : ٣٣ .

ويقول تعـــــالى .

● **(ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام، لتفتروا على الله الكذب ، ان الذين يفتـــرون على الله الكذب لا يفلحون)** النحل : ١١٦ .

●● وفى السنة يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه :

● عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **(من قال فى القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار)** .

اخرجه الترمذى والنســـائى وأبو داود ، وقال الترمذى : حديث حسن .

● وعن المغيرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **(ان كذبا على ليس ككذب على أحد فمن كذب على متعمـــدا فليتبوأ مقعده من النار)** . رواه مسلم .

●● وفى الأثر :

● روى أن أبا بكر رضى الله عنه قال : **(أى سماء تظلنى ، وأى أرض تلقنى اذا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم)** .

● وعن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال :

(كيف بكم اذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيهـــا الكبير وتتخذ سنة ، فان غيرت يوما قيل هذا منكر . قال : ومتى ذلك قال : اذا قلت أمناؤكم وكثرت امراؤكم ، وقلت فقهاؤكم ، وكثرت قراؤكم ، وتفقه لغير الدين ، والتمست الدنيا بعمل الآخرة) .

رواه عبد الرازق فى كتابه .

●● وخامسها : الصبر :

ففى القرآن الكريم يقول تعالى :

● **(يا بنى أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور)** لقمان : ١٧ .

وقال تعـــــالى :

● **(والعصر ☼ ان الانسان لفى خسر ☼ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحـــق وتواصوا بالصـــــبر) .** سورة العصر .

●● وفى السنة :

● عن ابى ذر رضى الله عنه قال : **(أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير : أوصانى أن لا أخاف فى الله لومة لائم ، وأوصانى أن أقول الحق ، وان كان مراً) .**

مختصرا رواه ابن حبان فى صحيحه .

● وفى حديث متفق عليه :

عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبى صلى الله عليـــه وسلم : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قــــــال : (لقد لقيته من قومك ــ كفار قريش ــ وكان أشد ما لقيته منهم يوم العقبة ــ عند الطائف ــ اذ عرضت نفسى على عبـــــد يا ليل ابن عبد كلال ــ أكبر أهل الطائف من ثقيف ــ فلم يجبنى الى ما أردت ــ من الايواء والاعانة على تبليغ الرسالة الى العباد فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم استفق الا وأنا بقرن الثعالب ــ ميقات أهل نجد على يوم وليلة من مكة ــ فرفعت رأسى واذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام ، فقال : ان الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث اليك ملك الجبال ــ المتصرف عليها بأمر الحق تبارك وتعالى ــ لتامره بما شئت

فيهم ، فناداني ملك الجبال فسلم على ثم قال : يا محمد ، ان الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربي اليك لتأمرني بأمرك ، فما شئت ؟ ان شئت أطبقت عليهم الأخشبين ــ الجبلين المحيطين بمكة ، والأخشب : هو الجبل الغليظ ــ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا) .

●● وسادسها ، الرفق واللين :

ففي القرآن الكريم يقول الله تبارك وتعالى لموسى وهارون عليهما السلام :

● **(اذهبا الى فرعون انه طغى * فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى)** طه : ٤٤ .

ويقول تعالى :

● **(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو اعلم بالمهتدين) .**

النحل : ١٢٥ .

ويقول تعالى :

● **(وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ، ان الشيطان ينزغ بينهم ، ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا)** الاسراء : ٥٣ .

●● وفي السنة :

● عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه) .**

رواه مسلم .

● وعنها رضى الله عنها ، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال: **(ان الرفق لا يكون فى شىء الا زانه ولا ينزع من شىء الا شـــانه)** . رواه مسلم .

● وعنها رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(ان الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله)** متفق عليه .

● وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **(من يحرم الرفق يحرم الخير كله)** رواه مسلم .

●● وسابعها ، التيسير والتبشير بفتح باب امل للمقصرين : ففى القرآن الكريم يقول الله تعالى :

● **(والله يريد أن يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعـــون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما ، يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق الانسان ضعيفا)** النساء : ٢٧ ، ٢٨ .

● **(قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم ❊ وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ❊ واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون)** الزمر : ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ .

● **(قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر الله لهم ما قد سلف ، وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين)** الأنفال : ٣٨ .

●● وفى السنة :

● عن أبى حمزة أنس بن مالك الانصارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(لله افرح بتوبة عبده من احدكم : سقط على بعيره ، وقد اضله فى ارض فلاة)** متفق عليه .

● وفى رواية لمسلم : (**لله أشـــد فرحة بتوبة عبـــده حـــين يتوب اليه ، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها ، وقـــد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك اذ هو بها قائمـــة عنـــده ، فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك !! أخطأ من شدة الفرح**) .

● وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (**ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبـــه ، فسددوا وقاربوا وابشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**) رواه البخارى .

●● **وثامنها ، الورع** : والمراد به أن يكون على درجة من الصلاح والتقوى تجعله أسوة وقدوة للناس فى العبادة والزهد والخوف من الله ، وحب المؤمنين والتواضع لهم .

ففى القرآن الكريم يقول الله تعالى :

● (**ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثـــم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون**) آل عمران : ٧٩ .

وقال تعالى :

● (**ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين**) فصلت : ٣٣ .

●● وفى السنة :

● عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**دع ما يريبك الى ما لا يريبك**) رواه الترمذى وقال حديث : حسن صحيح .

● وعن عطية بن عروة السعدى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرا مما بأس به**) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

●● فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ونفذه تنفيذا سليما على ضوء تلك الأساسيات حتى تكون من الدعاة الى الله تعالى بصورة ايجابية ومثمرة :

ولا تكن من هؤلاء الذين يرددون بدون فقه قول الله تبـــارك وتعـــالى :

● (**... عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتـــديتم**) ، فقد ورد :

● عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال :

يا أيها الناس انكم تقرءون هذه الآية (**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم**) وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (**ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منـــــه**) . رواه أبو داود والترمذى والنسائى بأسانيد صحيحة .

● وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**ان أول ما دخل النقص على بنى اسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض**) **ثم قـــــال : (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ● كانوا لا يتناهون**

عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ● ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ● ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون) ثم قال : (كلا والله لتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظـــالم ولتاطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم) .

رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن هذا لفظ أبى داود ولفظ الترمذى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم : **(لما وقعت بنى اسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهــوا فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلــوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بمـــا عصوا وكانوا يعتدون ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال : لا والذى نفسى بيده حتى تاطروهم على الحق اطرا) :**

قوله : تأطروهم أى تعطفوهم ، ولتقصرنه : أى لتحبسنه .

وختـــــاما :

أسأل الله سبحانه و تعالى لى ولك ولجميع المســــلمين والمسلمات التوفيق والسداد ، والى اللقاء مع الحق الثالث ، وهو :

(حق المســلم على المســلم)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

المؤلف

طه عبد الله العفيفى

المعادى : مسجد الفتح شارع (٩) ـــ القاهرة

محتويات الكتاب

دار العـــلوم للطباعة

القاهرة ـــ ٨ ش حسين حجازى   ت : ٣١٧٤٨ ـــ ٢٦٠٣١

رقم الايداع دار الكتب

٧٩/٤٥٧٦